تراتيب أولويَّات الحاجات الإنسانيَّة
بين التصور الإسلامي بفهم نصوص الوحيين
ونظرية أبراهام ماسلو
دراسة مقارنة في علم النفس الحديث

الدكتور
علي حسن عبد الغني
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كليَّة الآداب – جامعة بني سويف

ملخص البحث

موضوع البحث "تراتيب أولويات الحاجات الإنسانية بين التصور الإسلامي بفهم نصوص الوحيين ونظرية أبراهام ماسلو"، تناولت فيه الحاجات الإنسانية من منظور مقارن بين التصور الغربي لها، وبين المفهوم الإسلامي عنها، وأوضحت أهم الفروق بين المنهج الإسلامي في تصوره العام لهذه الحاجات وتراتيبها الأولى بالتقدمة تقديمًا أو تأخيرًا، والمنهج الغربي في رؤيته لها من خلال نظرية أبراهام ماسلو للحاجات، وقد عرضت ما توصل إليه أبراهام ماسلو في نظريته، مع تقييم محتواها بما لها وما عليها، دون غمط أو محاباة، وذكرت ما استدركه عليه بعض علماء عصره في الغرب، وبعضًا من مآخذ الباحثين، ومن هؤلاء عالم النفس الأمريكي الدرفر [Alderfer] الذي اختصر نظرية ماسلو وعدّل فيها، وكذلك ستيفن كوفي [Stephen Covey] الذي جاء بنظرية متوازنة في الحاجات تقدِّر أهمية التوازن بين حاجات الروح والجسد معًا، بالمفهوم الديني للبعد الإيماني، وهو ما أغفله ماسلو في نظريته، وقدَّمته النظرية المقاصدية في الإسلام على سائر الحاجات والضرورات، وقد حاولت — من جانبنا- في المقارنة البحثية، أن نتعرف على ما يوجد لدينا من مفاهيم إسلامية راقية بموضوعية حول الموضوع ذاته، وهي رؤى بلا ريب تعدُّ نتاجًا من فهم نصوص الوحيين، وعرضتها بصورة كلية، لا تفصيلية، فلم أقف في هذه المقارنات والمقاربات البحثية عند كل آية كريمة أو حديث نبوي شريف؛ لأنَّ ذكر ما جاء عن هذا الموضوع في الكتاب والسنة أمر يطول به المقام.

وإنما أوضحت مواطن الاتفاق والاختلاف بين التصورين، وكان سبيلي للوصل إلى هذا الأمر، بأن استعرضت بعضًا من النماذج لأعلام المسلمين من أصحاب التوجهات المعنية بالحاجات الإنسانية، والكتابة عنها، كالفخر

الرازي (ت٦٠٦هـ)، الذي شابه ترتيبه لها طريقة ماسلو في الترتيب التصاعدي لمصفوفته الهرمية في الحاجات، ومن علماء الإسلام من صاغ الحاجات فيما يعرف بنظرية المقاصد الشرعية، كما هو الحال عند الشاطبي (ت٧٩٠هـ) في كتابه الموافقات، أو ما كان من هؤلاء العلماء الأفذاذ من أصحاب النظرات التقدمية التي فاقت كل التوقعات؛ لجمعهم بين الحاجات المقاصدية في الشرع وعلم النفس، بنظراتهم العلمية المبكرة التي سبقت عصرهم بعشرة قرون، بشهادة العلماء لهم في العصر الحديث، كما هو الشأن عند الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه)، وأبي يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ).

خطة البحث

توزع البحث على ثلاثة أقسام وتسعة مباحث، ومقدمة وخاتمة

ملخص البحث:

المقدمة

اختيار موضوع البحث وغاياته المأمولة.

منهجية البحث.

.....

القسم الأول: ويحتوي ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الحاجة بين اللغة والاصطلاح وعند علماء النفس.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحاجة في اللغة.

المطلب الثاني: الحاجة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: تعريف الحاجة في علم النفس .

.....

المبحث الثاني:

نظرية أبراهام ماسلو في الحاجات الإنسانية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف النظرية في المصطلح الغربي .

المطلب الثاني: التعريف بأبراهام ماسلو.

.....

المبحث الثالث:

التأصيل النظري لنظرية أبراهام ماسلو:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سلم الحاجات The Hierarch of Needs عند أبراهام ماسلو:

المطلب الثاني: نظرية التنظيم الهرمي للحاجات .

المطلب الثالث: الفروض الأساسية التي تقوم عليها نظرية الحاجات.

المطلب الرابع: مفهوم الحاجـــات في نظرية أبراهام ماسلو.

.....

القسم الثاني : إسهامات علماء المسلمين في التنظير للحاجات.

ويحتوي أربعة مباحث:

المبحث الأول: الفخر الرازي والحاجات الإنسانية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تماهي نظرية أبراهام ماسلو مع رسالة الفخر الرازي (ت٦٠٦هـــ) في الحاجات الإنسانية.

المطلب الثاني:السلم الحاجي للمطالب الإنسانية عند الفخر الرازي من منظور مقارن.

المطلب الثالث: (اللذات العقلية)عند الرازي ومعادلها المعياري عند أبراهام ماسلو.

المطلب الرابع: ابن القيم الجوزية (ت:٧٥١ه)، وتأثره بسلم الحاجات عند الفخر الرازي.

.....

المبحث الثاني: نظرية أبراهام ماسلو في ميزان التقييم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: انتقادات موجه لنظرية أبراهام ماسلو.

المطلب الثاني: شهادة إنصاف لنظرية أبراهام ماسلو ترد على منتقديه.

.....

المبحث الثالث:

نظرية المقاصد والحاجات الإنسانية من منظور مقارن:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دافعية السلوك والحاجات في (نظرية المقاصد الشرعية) مقارنة بنظرية ماسلو.

المطلب الثاني: علم المقاصد قبل الشاطبي وارتباطه بعلم النفس عند الحكيم الترمذي، وأبي يزيد البلخي.

أ- الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه) مؤسس علم المقاصد.

ب- الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه) رائد مدرسة علم النفس المعرفي.

ج- أبو يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ) ومقاصد الشريعة.

د- أبو يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ) عالم نفسي سبق عصره.

.....

المبحث الرابع: النظرية المقاصدية من منظور مقارن.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عمق التصور الإسلامي في نظرية المقاصد الشرعية من منظور مقارن بين ماسلو (Maslow) وتعديلات الدرفر[Alderfer] .

المطلب الثاني: هرم الدرفر[Alderfer] للحاجات.

المطلب الثالث: أوجه التطابق بين هرم ماسلو والدرفر.

المطلب الرابع: أوجه الاختلاف بين النظريتين وتعديلات الدرفر [Alderfer] .

المطلب الخامس: تمتع نظرية المقاصد بالمرونة والترابط واستيعابها لأية تعديلات مطروحة في الفكر الغربي.

المطلب السادس: حفظ الدين والسلوك التعبدي ترسيخ لمفهوم الأمة الواحدة.

المطلب السابع: ترابط وتماسك نظرية المقاصد من منظور مقارن.

.....

القسم الثالث: ويحتوي ثلاثة مباحث

المبحث الأول: انتقادات نظرية أبراهام ماسلو ومثالبها من منظور مقارن.

وفيه:

أ- التَكْريسُ لمفهوم الفرد.

ب- استخدام المنهج الوصفي في تفسير الحاجات عند أبراهام ماسلو.

ج- تقاعص نظرية ماسلو عن تقديم الحلول للمشكلات النفسية.

د- فقدان التوازن بين الروح والجسد فإنه (ما صحَّ جسم إذا ما اعتلَّ قلب).

ه- المستدرك على نظرية أبراهام ماسلو .

و- نظرية التوازن بين الروح والجسد(ستيفن كوفي)[Stephen Covey].

.....

المبحث الثاني:الجوانب الروحية بين نظرية ماسلو والتصور الإسلامي لها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تجاهل ماسلو للبعد الديني واستبداله بالتسامي الإنساني .

المطلب الثاني : انتقادات تتسم بالمصداقية لنظرية أبراهام ماسلو.

.....

المبحث الثالث:التطبيقات العملية لإشباع الحاجات في السنة النبوية.

وفيه

أ- إشباع الحاجات محل اعتبار الشرع الحنيف.

ب- تقديم إشباع الحاجات حالة نقصها على بعض صور العبادات .

ج- تعطيل حد السرقة وقت المجاعات : (حاجة الطعام).

د- حاجة الإنسان للنوم وكراهة مدافعته .

ثمَّ جاءت بعد ذلك الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

وأخيرًا ذيَّلت البحث بثبت المصادر والمراجع.

***

المقدمة:

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَخَاتَمِ الأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبعد ...

موضوع البحث وغاياته المأمولة:

يعد القرآن الكريم أوثق المصادر التي تنصح للإنسان وتهديه إلى غايته ورسالته التي خُلق من أجلها، بالإضافة إلى السنة النبوية الصحيحة، فهما يقدمان الحقيقة الكاملة عن الإنسان، وذلك لمصدريتهما عن الله ورسوله، والنفس البشرية عالم مجهول مهما اكتشفنا منه، تظل عالمًا سريًّا مليئًا بالمتناقضات، بحكم تكوينها من نفخة الروح وقبضة الطين، وبهذه الطبيعة المزدوجه يتحتم على الإنسان إشباع الجانبين بشكل متوازن لا يطغى أحدهما على الآخر، وقد راعى الشرع الحنيف كلا البعدين فيه، وأولى النفس البشرية عظيم الاهتمام بهما في القرآن العظيم والسنة النبوية، فقدما للإنسان سبل الهداية والسلام، والسكينة والاطمئنان، وسط هذا العالم المكتظ بالفتن والمخازي والشرور والآثام، وهذا البحث محاولة متواضعة للربط بين واقعنا المعاصر المعاش وبين ما يناظره في أصول الوحيين؛ للوقوف على ما أهداه الشرع لنا من قيم ومبادئ علمية وعملية ذات بعد أخلاقي هاديًا للبشرية، في مجال النفس وحاجاتها الإنسانية، وذلك بالمقارنة بين هذه القيم والمبادئ، وبين ما استخلصه بعض العلماء من نظريات في مجال علم النفس.

ونتناول في هذا البحث الحاجات الإنسانية من منظور مقارن بين التصور الغربي لها، وبين المفهوم الإسلامي عنها، والحاجات الإنسانية في أبسط

معانيها، هي الضروريات الحياتية اليومية أو المستقبلية التي يسعى الإنسان في طلب تحقيقها، وتعرف هذه المتطلبات الحياتية اليومية العاجلة أو الأخرى الآجلة، بالحاجات الإنسانية التي تحقق له التوازن النفسي في داخله وبين الناس .

منهجية البحث وأهدافه:

قد يكون من الإجحاف أن تكون مقارنتنا بين ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية عن هذه الحاجات الإنسانية، وبين ما توصل إليه عالم النفس الأمريكي المعروف أبراهام ماسلو(Abrahm Maslow)، في مصفوفته الهرمية التصاعدية لها؛ فالقرآن الكريم والسنة المطهرة، هما أجلّ من ذلك وفوق ذلك؛ من حيث الغاية والرسالة؛ لأننا في هذه الحالة نقارن بين الثابت المطلق لمصدريته عن الله ورسوله، وبين ما هو نسبي إنساني متغير، يأتي من بعده من علماء النفس ليصححوا له أو يزيدوا عليه أو ينتقصوا مما جاء به، كما سنرى، فالنظريات الإنسانية متغيرة دائمًا، وبخاصة إذا كانت في مجالي العلوم الاجتماعية، والإنسانيات، فتكون هذه النظريات قابلة للتعديل والتطوير أو النقض أو الزوال، فتصبح أثرًا بعد عين، لكون ما يصدر عن الإنسان نسبيًّا ولا يمتلك الإنسان الحقائق الكاملة عن الأشياء، وما نقدمه في هذا البحث مجموعة من المقارنات والمقاربات النسبية أيضًا لما يمكن أن أفهمه كباحث يقدم رؤية مختارة من فهمه لخصوصية بعض نصوص الوحيين، ولما فهمه وأحرزه علماء المسلمين من مفاهيم وكتابات حول موضوع الحاجات الإنسانية، وفق ترتيبهم لها واجتهاداتهم فيها، فجاز لنا أن نقارن المفاهيم بالمفاهيم، مع الوضع في الحسبان أن المفهوم الإسلامي عن هذه الحاجات الإنسانية وترتيب أولويات هذه الحاجات منجز علمي لرؤية مستخلصة من نصوص الوحيين: القرآن الكريم والسنة النبوية. وهي مفاهيم، ولا شك أيضًا تمثل بعض أوجه التصور

الإسلامي لمفاهيم هذه الحاجات الإنسانية أو ترتيب الأولويات فيها من منظور مقارن بين علماء الغرب من خلال نظرية أبراهام ماسلو، وعلماء المسلمين الذين تناولوها في كتاباتهم، مع تفاوت الطرح الذي يقدمه كل عالم من هؤلاء العلماء حول موضوع الحاجات، وإن كان المشرب الذي نهل منه جميعهم واحدًا، هو القرآن العظيم والسنة المطهرة، وسنلقي الضوء على ما توصل إليه بعض علماء المسلمين في هذا الموضوع، لما أحرزوه من مفاهيم جيدة في موضوع الحاجات الإنسانية وترتيبها حسب التصور الإسلامي لها، وقد أحرزوا بهذه المفاهيم المتقدمة قصب السبق على علماء الغرب في تفسير السلوك الإنساني، تجاه إشباع هذه الحاجات، اتفقت بعض أصولها مع ما جاء في نظرية أبراهام ماسلو عن الحاجات، واختلفت في بعضها.

وسوف نستعرض بعضًا من النماذج لأعلام المسلمين، أصحاب التوجهات الخاصة بعلم النفس ونظراتهم العلمية المتقدمة في ترتيب أولويات هذه الحاجات التي سبقت عصرهم بعشرة قرون، وكان اهتمامهم يركِّز على الجمع بين الحاجات الروحية والحاجات المادية في آن واحد، ودللوا على أهمية ذلك للصحة النفسية في النفس البشرية، كما هو الحال عند الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، وأبي يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ)، والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، وابن القيم (ت:٧٥١هـ)، والشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، وغيرهم، بالمقارنة بما توصل إليه أبراهام ماسلو، وبعض أقرانه من علماء النفس الذين حاولوا معالجة القصور الذي وجدوه في نظريته، واستدركوا عليه ما فاته، ومن هؤلاء عالم النفس الأمريكي الدرفر [Alderfer] الذي اختصر نظرية ماسلو وعدّل فيها، وكذلك ستيفن كوفي [Stephen Covey] الذي جاء بنظرية متوازنة لتغطية القصور الذي لحق بنظرية أبراهام ماسلو؛ لإغفاله الجانب

الإيماني تحت شعار (الإنسان المتوازن)؛ فأدخل ستيفن كوفي في نظريته الاحتياجات الروحية، المتعلقة بالإيمان الديني، وهو المبدأ الأساس الذى تقوم عليه النظرية المقاصدية في الإسلام، وهو التصور الإسلامي المنوط بالمكوّن المتوازن للإنسان عند علماء المسلمين قاطبة منذ البداية، و لم تتخل عنه النظرية الإسلامية في أية مرحلة من مراحل بنائها التصوري لمفهومها الإسلامي عن أولوية تقدمة الدين، الذي لم يغب يومًا ما عن هذه التقدمة، في ترتيب هذه الحاجات، وهو ما أدركه الغرب مُؤخَّرًا، وتجسد في نظرية أبراهام ماسلو هذه النظرة القاصرة، التي ترى بعين واحدة نصف الحقيقة، وسوف نفصل القول في هذه النقطة المهمة في بحثنا هذا، دون أن نغمط الرجل حقه فيما توصل إليه من نتائج أو عناصر شكلت نظريته بالبيان، ونعرض فيه أيضًا التصور الإسلامي إجمالًا، الذي يتسم بالدقة والعمق في التنظير والتطبيق، كالذي استخلصه الشاطبي من نصوص الوحيين، حول الضروريات في مقاصد الشريعة التي اكتملت أركانها على يديه في كتاب الموافقات، وإن سبقته محاولات جادة على الطريق سوف نذكر بعضها. وعلى هذا فالنظرية الإسلامية لها جناحان، أحدهما: تنظيري، والآخر: عملى تطبيقي، ولعل الجانب الأول منها قد استوفى حقه الكثير من أرباب الفقه والأصول وغيرهم، وبات الأمر ملحًا في إظهار بعض صور الجوانب التطبيقية للحاجات الإنسانية في حياة المسلم اليومية حالة نقصها، بتسليط الضوء على نقاط محدودة ولكنها كاشفة لما يمكن أن يتصوره المرء عن احتفاء النص الديني بإشباع هذه الحاجات حالة نقصها وتقديره التام لها، وتقدمتها على بعض صور العبادات إلى أن يتم إشباعها، كشرط للإتيان بالعبادة على وجهها الصحيح، ونحن هنا لا نقلل من قيمة ما وصل إليه علم النفس في مجال دراسة النفس البشرية، ولا نقلل من النجاحات التي أحرزتها

نظرية ماسلو الشهيرة في الحاجات الإنسانية؛ إنما غاية ما في الأمر هي مقارنات ومقاربات علمية، لما يكون في العلوم الإنسانية من بعض أوجه الشبه لبعض الموضوعات، بما يناظرها من مضامين عبَّرت عنها نصوص الوحيين، وتبلور عند علماء المسلمين، كي نتبين الفروق الجوهرية، وبعض مواطن الاتفاق والاختلاف في المعالجة بين المنتج البشري للعلوم، وبين ما فهمه علماء المسلمين، مما جاء في قول العليم الخبير، أو ذكره رسولنا الكريم، وسبيلي في بيان ذلك طرح قضايا كلية فحسب، حول موضوع الحاجات الإنسانية.

وحيث إنني وجدت قطيعة بين ربط الدراسات الدينية بالعلوم الإنسانية الحديثة مع أن محور الاهتمام الأساسي فيهما واحد وهو الإنسان، فقد استنهضني ذلك للبحث في هذا النوع من الدراسات، وأخالها بداية متواضعة في هذا الباب استدرج بها غيري من الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية لملء الفراغ الذي بات واضحًا في المقارنات المتخصصة بدراسة جزئية محددة داخل النظرية الواحدة، ولا نتناول النظرية كاملة في مثل هذه المقارنات؛ لأن طريقة التناول بالمقارنة في العموميات بين علم النفس والقرآن الكريم، أو بين علم النفس والسنة النبوية أمر آخر أتت عليه الكثير من الدراسات، فالدراسات على نظرية أبراهام ماسلو وتطبيقاتها في مجال التحفيز والدافعية كثيرة جدًا، إلى يوم الناس هذا، ولكن مقارنة ما جاء فيها، وبشكل خاص عن الحاجات الإنسانية، بما ورد عنها في القرآن الكريم أو السنة النبوية، هو عبارة عن صفحات متناثرة قليلة لا تغطي الموضوع بكل أبعاده المختلفة، فضلًا عن أنها لا تقدم جديدًا بل هي على قلتها صور مكرورة بدأها بعض الباحثين واستنسخها آخرون في شكل مقالات أو جاء الحديث عنها في بعض الأبحاث التي تتناول نظرية ماسلو بشكل عام، وقد وجدت أن بعض الباحثين يتكلف في الاستدلال بالآيات وأولوها تأويلا فاسدًا تبعًا

لأهوائهم وتطويع التفسيرات فيها حسبما يرون هم لا حسب ما تضمنته الآية أو أرشد إليه الحديث الشريف، للربط بين النظرية وبين ما في نصوص الوحيين بأمثلة سطحية ساذجة وبعيدة؛ لذا فقد عقدت النية على دراسة الحاجات الإنسانية من خلال تصورات بعض علماء المسلمين لها، مقارنة بما جاء عنها في نظرية أبراهام ماسلو مستعينًا بالله، راجيًا منه سبحانه التوفيق والسداد.

القسم الأول

المبحث الأوَّل: مفهوم الحاجة بين اللغة والاصطلاح وعند علماء النفس

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الحاجة في اللغة:

الحاجة في اللغة: للحاجة عدة إطلاقات في اللغة، فعرفها اللغويون بمعنى الاحتياج، وتارة تأتي بمعنى المأربة، وتارة أخرى بمعنى الضرورة، على أن تعريفهم لها بمعنى الاحتياج، هو الأكثر والشائع بينهم، والاحتياج هو الافتقار إلى الشيء، والاضطرار إليه، من الفِعل (احتاج)؛ أيّ افتقر ونَقُص عليه أمرٌ ما، وجاء في معجم مقاييس اللغة أن مادة (حوج) تدل على الاضطرار والافتقار إلى الشيء، وهي مصدر للفعـــــــل: "احتاج" ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)[١]. وفي المنجد "حاج بمعنى افتقر إليه وجعله محتاجًا، والحاجة هي ما تحتاج إليه"[٢]، كما تأتي بمعنى المأربة؛ ففي اللسان: الحاجَةُ والحائجَةُ: المَأْرَبَةُ ... ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾؛ قَالَ ثَعْلَبٌ: يَعْنِي الأَسْفارَ، وجمعُ الْحَاجَةِ حاجٌ وحِوَجٌ" [٣].

كما عرفت بمعنى الضرورة [٤]. عند بعضهم على التّوسعة دون تفريق؛ لدوران المعنى بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ لأن الغالب في تعريف معنى الحاجة

بالضرورة أن يكون أقرب للمعنى الاصطلاحي عند الفقهاء والأصوليين؛ لكون الضرورة إحدى مقاصد الشريعة الثلاثة (الضرورات والحاجيات والتحسينات).

المطلب الثاني: الحاجة في الاصطلاح:

الحاجة في الاصطلاح هي: ما يفتقر الإنسان إليه مع أنّه يبقى بدونه. وعرّفها علماء الأصول بأنّها: "ما يُفتقر إليها من حيث التّوسعة ورفع الضّيق المؤدّي في الغالب إلى الحرج والمشقّة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلّفين – في الجملة – الحرج والمشقّة"(٥).

وعلى هذا فإن معنى الحاجة في الاصطلاح هو: كل ما يلزم الإنسان لإقامة حياته على نسق سويّ معتاد تستقيم فيه حياته.

ومن تعريفات الحاجة ـأيضاًـ ما يلي:(٦)

١- الحاجة: ما توسط بين الضرورات والتكميلات (٧).

٢- المفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة، بفوات المطـــلوب(٨).

هذه أهم تعريفات الحاجة في معناها العام، والمرتبط بالمصالح الحاجية، بكونها إحدى المصالح والمقاصد الثلاثة(٩).

والحقيقة أن هذا المعنى الأخير له ارتباط بالمطالب الأساسية للإنسان، كأحد المعاني الاصطلاحية التي تعبر عن حاجة الإنسان وافتقاره إلى هذه الأساسيات، لِيُقِيمُ أوَدَهُ ويسد رمقه، وعلى أية حال فقد وقع الكثير من اللغظ واللبس بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي حتى أن الكثير منهم اتهم لفظ الحاجة بالشغب وسوء الأدب لعدم استقامة معناه في المعاجم على وتيرة واحدة، لكونه لفظًا ملتبسًا لا يقر له معنى، فكانوا يفسرون الحاجة بالضروة والضرورة بالحاجة، ويبقى الفيصل في ذلك مراد المتكلم وما عبر به لاستيفاء مقصوده من المراد بالجمل والعبارت أو

تقدير المراد، وبعيدًا عن هذا اللغط والعراك في تحديد معناه، فإن الأمر الذي لا شك فيه أن القدر المشترك الذي لا يُنكر من معناها باتفاق أن الحاجة في معناها عند أرباب اللغة، أو في معناها الاصطلاحي عند الفقهاء والأصوليين تعني الحاجات الأساسية التي لا يستغني عنها الإنسان في حياته اليومية، وهي تجلب المشقة بل الهلاك في أحيان أخرى إذا نقصت أو فُقدت، وهي نفسها التي تُعرف عند ماسلو في نظريته، بالحاجات الأولية الفسيولوجية أو الحاجات الدنيا أو حاجات إشباع النقص Lower or Deficit or D-needs من مأكل ومشرب وملبس ومأوى، أو الحاجة إلى التنفس والنوم والإخراج وتجنب الألم.

وقد أشار الدكتور محمود الصلاحين، والدكتورة فتحية الزيات إلى هذه الحاجات الأساسية عند الأصولين بقولهما: "غالبًا ما تتكرر وتتداول في الأدبيات الأصولية، بيد أن ثمة معنى آخر للحاجة يرتبط بالمطالب الأساسية للإنسان حيث عرف العلماء الحاجة بهذا المعنى متطرقين إلى الحاجات الأساسية ومن تعريفاتهم في هذا المضمار"(١٠):

١- ما يكفي مطعمًا وملبسًا وغيرها مما لا بد منه على ما يليق بحاله وحال من في نفقته.

٢- هي ما يُحتاج إليه لنفقة نفسه وعياله الذين تلزمه مؤونتهم، من مطعم وملبس ومسكن وخادم وما لا بد منه.

٣- ما يدفع عن الإنسان الهلاك كالنفقة ودور السكنى والثياب ...

المطلب الثالث: تعريف الحاجة في علم النفس:

إذا كانت الحاجة في المصطلح الشرعي الإسلامي تُعنى في المقام الأول بالتركيز على الحاجات الأساسية من مطعم ومأكل وملبس ومسكن، أو كل ما يدفع به الإنسان الهلاك عن نفسه، فإن الاتجاه الغالب في علم النفس في تعريفها يذهب إلى

التفريق بين مستويين من هذه الحاجات، أولهما: البيولوجية، وثانيهما: الحاجات النفسية. فالحاجة كما في علم النفس يعرّفها خير الله عصار بقوله: "هي الإعراب بصفة عامة عمّا يفتقر إليه الكائن الحي للحفاظ على حياته، كالحاجة التي تقي الألم وتجنب الخطر، أو لتحقيق الذات وحفاظًا على جنسه"(١١). وعرفها فاخر عاقل بأنها: "افتقار أمر مفيد ومرغوب فيه، وأساس هذا الافتقار يسبب اختلال التوازن في الفرد، وتكون الحاجة فسيولوجية إذا كانت ذات صلة بالجسد، كما تكون نفسية إذا ما اتصلت بالأفكار والمشاعر، وتكون اجتماعية إذا ما كانت ذات مساس بالعلاقات الاجتماعية"(١٢) .

أما أبراهام ماسلو (Abrahm Maslow)، فهو يرى "أن الحاجة هي ما يثير الكائن الحي داخليًا مما يجعله يعمل على تنظيم مجاله بهدف القيام بنشاط ما؛ لتحقيق مثيرات أو أهداف معينة"(١٣).

المبحث الثاني: نظرية أبراهام ماسلو في الحاجات الإنسانية.

المطلب الأول: تعريف النظرية في المصطلح الغربي.

"تعددت تعريفات العلماء للنظرية Theory لدرجة يقرر معها جيرالد هيج (Hage, ١٩٧٢: ١٧١) أن هناك من تعريفات النظرية بقدر ما هناك من المنظرين، ومع ذلك فإنه يرى أن هناك اتفاقًا عامًّا على أن النظرية عبارة عن «مجموعة متسقة من القضايا أو العبارات النظرية» التي قد تأخذ شكل « تخطيط لمسار العلاقات» بين المتغيرات، أو شكل «نسق استنباطي»، أو حتى تتخذ صورة «فرض»واحد، ومع ذلك فإنه يفضل تعريفًا مبسطًا للنظرية على أنها « نسق من المفاهيم المترابطة»،أما بلاك وشامبيون(Black & Champion, ١٩٧٦: ٥٦-٥٥) فينقلان عن كيرلنجر تعريفه للنظرية على أنها «مجموعة من المفاهيم، والتعريفات، والقضايا المترابطة، التي تقدم صورة متسقة للظواهر، عن طريق تحديد

العلاقات بين المتغيرات، بهدف تفسير تلك الظواهر والتنبؤ بها»، ثم يضيفان تعريفهما الخاص للنظرية على أنها «مجموعة من القضايا المترابطة فيما بينها بطريقة منظمة، والتي تحدد العلاقات السببية بين المتغيرات»، ويعترف المؤلفان بأن الدارسين عادة ما يواجهون صعوبات في فهم المقصود بالنظرية اعتماداً على مثل تلك التعريفات؛ وذلك بسبب ندرة النظريات التي يمكن اتخاذها أمثلة في العلوم الاجتماعية والسلوكية أو عدم وجودها أصلاً "(١٤).

يقول الدكتور إبراهيم :"وهذا يعني أن النظريات المنطلقة من الاجتهادات البشرية وحدها قد تكون لها رؤيتها الصحيحة لبعض جوانب الواقع، ولكنها رؤية محدودة؛ وأن من يعتمد على تلك الرؤية البشرية البحتة عليه أن يجرّب وينتظر النتائج، ثم يعدّل ويجرب وينتظر النتائج، وهكذا، وغالبًا ما لا ينتبه إلى أخطاء النظرية إلاّ بعد أن تعاني آثارها الوخيمة أجيال متعددة من البشر، وبعد أن تظهر المشكلات فَاغِرَةً فَاهَا، إلى أن يقتنع أصحاب النظرية (عادة قبيل وفاتهم بقليل!) بأن عليهم أن يخففوا من غلوائهم واستكبارهم وأن يئوبوا إلى الحق"(١٥).

المطلب الثاني: التعريف بأبراهام ماسلو:

"ولد ماسلو Maslow عام ١٩٠٨م في مدينة بروكلين في نيويورك، التحق بجامعة وسكانسن، وقد اطَّلَعَ في وقتها على علم النفس بالشكل الذي طرحه قوندت وتاتشنر أصحاب المدرسة التركيبية في علم النفس، التي ترى بأن "الحياة العقلية" للإنسان يمكن دراستها بنفس الطريقة التي تدرس بها ظاهرة كمياوية؛ أي بتحليلها إلى "عناصرها" المختلفة من الإحساس والإدراك والطريقة التي تجتمع بها لتؤثر على السلوك، ولم ترق هذه الطريقة لماسلو وتأثر في حينه بطسن لأنه وجد فيه أن هذا المنهج يتضمن الطريقة العلمية لفهم الناس وتحسين سلوكهم وهو ما يتماشى مع رغبة ماسلو واهتمامه بمساعدة الناس على إدراك القوة الخافية فيهم

... ولهذا يعتبر ماسلو من علماء النفس البارزين في ميدان الدافعية، التي انطلق منها نحو نظريته: تحقيق الذات Self – actualization"[١٦].

المبحث الثالث:التأصيل النظري لنظرية أبراهام ماسلو.

المطلب الأول: نظرية سلم الحاجات The Hierarchy of Needs عند أبراهام ماسلو:

افترض ماسلو في تصنيفه ذات الترتيب التتابعي للحاجات والدوافع، وجود نظام هرمي للحاجات يبدأ من الحاجات الأساسية التي يولد بها الإنسان، ويتصاعد إلى حاجات نفسية أكثر تعقيداً. ولا تصبح الحاجات النفسية مهمة وذات دور فعال إلا بعد إشباع الحاجات الأساسية.

المطلب الثاني: نظرية التنظيم الهرمي للحاجات[١٧].

تنتظم الحاجات في منظور أبراهام ماسلو بصيغة مدرج هرمي، أولوية الإشباع فيه للحاجات الفسيولوجية (الهواء – الماء – الطعام – النوم – الجنس – الإخراج – تجنب الألم) فإن أُشبعت بصورة اعتيادية بحث الإنسان عن إشباع المستوى الثاني من الحاجات وهو الحاجة للأمن، ومن ثم البحث عن إشباع الحاجة للحب في المستوى الثالث، يليه المستوى الرابع المتمثل بالحاجة للاحترام والتقدير، ثم المستوى الخامس الخاص بحاجات تحقيق الذات، والذي ينجح في الوصول إليه قلة من الأفراد.

"ومع ترقي الإنسان في سلم الحاجات تقل المظاهر الحيوانية في سلوكه وتتضح الجوانب الإنسانية، ذلك أن المستويات الثلاثة الأولى تندرج ضمن ما يسميه ماسلو بالحاجات الحرمانية التي يترتب على عدم إشباعها مشكلات جوهرية في صحة وبقاء الفرد، فيما تندرج حاجات المستويين الرابع والخامس ضمن الحاجات النمائية التي لا يسبب عدم إشباعها مشكلات جوهرية للإنسان إلا أن إشباعها يجعل حياته أكثر صحة وسعادة ورفاهية"[١٨].

وأدناه المستويات الخمسة للحاجات وتفصيلاتها المختلفة[١٩]:

أ-الحاجات الفسيولوجية، وتشمل: الحاجة للطعام ، والشراب ، والزواج، والإخراج أو التخلص من الفضلات، والنوم والدفء.

ب-حاجات الأمن، وتشمل: الحاجة للاستقرار والحماية والنظام والتحرر من الخوف والتحرر من القلق والحماية من الأخطار الخارجية والموضوعات المؤذية.

ج-حاجات الحب والانتماء، وتشمل: الحاجة لأن يحب وأن يكون محبوبًا، والحاجة للعطف والعناية والاهتمام والسند الانفعالي.

د-حاجات التقدير، وتشمل: تقديره لنفسه وتقدير الآخرين له وأن تكون له مكانة وأن لا يتعرض للرفض أو النبذ وعدم الاستحسان.

ه-حاجات تحقيق الذات وترتبط بالتحصيل والإنجاز والتعبير عن الذات وأن يكون مبدعًا أو منتجًا وأن يقوم بأفعال وتصرفات مفيدة وذات قيمة للآخرين وأن يحقق إمكاناته ويترجمها إلى حقيقة واقعة، ومن الملاحظ في نظرية ماسلو هو وضع تحقيق الذات على قمة التنظيم الهرمي للحاجات وتشير هذه الحاجة إلى رغبة الإنسان في مطابقة الذات ومعنى ذلك هو ميله إلى أن يصبح ما لديه من إمكانات محققا، وهكذا يمكننا أن نعد تحقيق الذات القوة الدافعية الوحيدة، بينما نعد الحاجات النفسية كالأمن والحب والاحترام، أجزاء منها .

وفي عام ١٩٧٠م أضاف ماسلو مستويين إضافيين بين مستويي تقدير الذات و إدراك الذات، وهما:[١]

الحاجات المعرفية: Cognitive needs التي تهدف لتحقيق المعرفة، وهدفها هنا ليس نفعيًا ولكن تهدف لتحقيق المتعة، ولها دور التكيف، وتساعد في إشباع الحاجات الأساسية والتغلب على المشكلات والعقبات .

الحاجات الجمالية: Esthetic needs وهي المرحلة التي يصل بها الفرد إلى تحقيق كل حاجاته وإشباعها، وهذا ما يساعده على التمتع بقيم الكون الجمالية، وهي من الحاجات الفطرية، حسب نظرية ماسلو، وتوجد بشكل واضح عند من يحقق ذاته من الأفراد.

فأصبح الشكل المعدل للتسلسل الهرمي هو:

المستوى الأول: الحاجات الإحيائية والفسولوجية.

المستوى الثاني: حاجات السلامة والأمان.

المستوى الثالث: حاجات الحب والانضمام – الحاجات الاجتماعية .

المستوى الرابع: حاجات التقدير.

المستوى الخامس: الحاجات المعرفية : المعرفة والمعنى .

المستوى السادس: الحاجات الجمالية: قبول الجمال والبحث عنه، والتوازن، والهيئة والشكل.

المستوى السابع: إدراك الذات (تحقيق الذات).

المطلب الثالث: الفروض الأساسية التي تقوم عليها نظرية الحاجات:

تعتمد نظرية سلم الحاجات لـــ "ماسلو" على الفروض الأساسية الآتية:

١- يخضع إشباع الحاجات الإنسانية لأولوية تعبر عن مدى إلحاحيـــة الحاجـــة. فالحاجات الفسيولوجية تجيء أولاً في أولوية الاشباع، تليها حاجات الأمـــن، فالحاجات الاجتماعية، فحاجات التقدير والاحترام الذاتي، فحاجات تحقيـــق الذات. ويتجه سلوك الفرد إلى إشباع الحاجات الأكثر أهمية وهي الحاجـــات الدنيا (الفسيولوجية) في سلم الحاجات، ثم ينتقل إلى الحاجات التي تليهـــا في الأهمية (حاجات الأمن)، وهكذا يتم التدرج في سلم الحاجات.

٢- إشباع الفرد لمجموعة معينة من الحاجات، يترتب عليه بروز وإثارة مجموعة الحاجات التالية لها في الأولوية.

٣- لا تقوم الحاجة المشبعة بتحريك السلوك، فالسلوك تنشطه الحاجة غير المشبعة.

٤- عندما يتجه سعي الفرد لإشباع حاجة في مستوى أعلى، فهذا يعني أن الحاجات الدنيا مشبعة لديه نسبيًا.

٥- يؤدي النقص في إشباع حاجة تقع في مجموعة أدنى بعد أن كانت مشبعة نسبيًا إلى تحويل اهتمام الفرد وسلوكه في إشباع الحاجات التي تعلوها إلى مواجهة النقص المفاجيء في إشباع تلك الحاجة.

٦- تتوقف سعادة الفرد ورضاه على مستوى إشباعه للحاجات، وكلما تدهور مستوى الإشباع تدهورت الصحة النفسية للفرد.

المطلب الرابع : مفهوم الحاجات في أبراهام ماسلو:

جاءت النظريّة الإنسانية التي فسرت الحاجات ردًا على النّظريّة التحليليّة، التي ترى أن أصول السّلوك بيولوجيّة المتمثلة في الغرائز (غريزة الحياة والموت)، واعتراضها على المدرسة السّلوكية التي ترى أنّ السّلوك مدفوع بعوامل كالتعزيز والحرمان والمكافآت، ويعد (أبراهام ماسلو، ١٩٤٣ Maslow) من روّاد هذه النّظريّة، حيث انطلق في بناء نظريّته – ترتيب الحاجات– من ثلاث أفكار رئيسيّة هي:

١- أنّ الإنسان كائن ناقص غير تام يظلّ طول حياته طالبًا محتاجًا، لذلك تؤثر احتياجاته على سلوكه، ويبدأ هذا التأثير عند الحاجة التي لم يتمّ إشباعها منتقلاً إليها من الحاجات التي تم إشباعها.

٢- أنّ الحاجات عند الإنسان تُرتَّب حسب أهميّتها من الحاجات الأساسيّة إلى المركبة.

٣- تنقسم الحاجات إلى خمس مستويات رئيسيّة مرتبة ترتيبًا هرميًا، ولا يتمّ إشباع حاجات المستوى الأعلى - أو العمل على إشباعها- إلا بعد إشباع حاجات المستوى الأدنى منه.

ففي قاعدة الهرم في تصنيف (أبراهام ماسلو Maslow) الحاجات الفيزيولوجيّة كونها الأكثر أهميّة والأشد إلحاحًا وطلبًا بالنسبة للفرد، ولا يكون ظهور الدّوافع الناتجة عن الحاجة إلى الأمن إلا بعد إشباع الدّوافع الخاصّة بالحاجات بالنواحي الفيزيولوجيّة، "والحاجات التي يتم إشباعها تختفي وتظهر محلها الحاجة التي تأتي في المستوى الذي يليها من الحاجات وهي حاجات الأمن والسلامة، أي أن يحمي الإنسان نفسه وجسده وأهله ومن يعول من أي شيء يعكر حياته. وهكذا ينتقل الفرد في إشباع حاجاته وفق التسلسل الهرمي الذي وضعه، فينتقل من إشباع الحاجات الفيزيولوجية إلى الأمن والسلامة، ثم الحاجات الاجتماعية، فالحاجة إلى التقدير ليصل في الأخير إلى إشباع الحاجة إلى تحقيق الذات"[1].

والشكل التالي يوضّح التنظيم الهرمي للحاجات (لماسلو Maslow).

شّكل يمثل التنظيم الهرمي للحاجات (لماسلو Maslow)

القسم الثاني: إسهامات علماء المسلمين في التنظير للحاجات.

المبحث الأول: الفخر الرازي والحاجات الإنسانية.

كتب الفخر الرازي رسالة سماها (ذم لذات الدنيا)"[1]، بيّن فيها أحوال اللذّات والاحتياجات المطلوبة لحياة الناس، وما يكابدونه في تحقيقها من الآلام والمخافات والحرمان، أو ما يحصلون عليه من اللذات والخيرات والراحات.

وقد حصر الفخر الرازي أقسامها في ثلاث مراتب رئيسة بدلًا من سبع درجات عند ماسلو في سلمه الهرمي، وهذه المستويات الثلاثة جاءت في رسالته متماهية بصورة دقيقة مع مضمون نظرية أبراهام ماسلو، وبهذا العمل أحرز الفخر الرازي قصب السبق على نظرية أبراهام ماسلو .

المطلب الأول: تماهي نظرية أبراهام ماسلو مع رسالة الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) في رصد الحاجات الإنسانية:

وكأنني حينما أقرأ رسالته "ذم لذات الدنيا"، يخامرني خاطرٌ بأن أبراهام ماسلو قد عاين رسالة الرازي فهمًا وقراءة، أو لعل هذا التقاطع والتماهي بينهما يكون من باب توارد الأفكار بين البشر الذين يتمتعون بنفاذ البصر والبصيرة في تأمل الأشياء وظواهرها من حولهم، فكلنا يرى التفاحة تسقط من شجرتها عند نضوجها، لكن واحدًا فقط من ملايين البشر الذين شاهدوها بنظرة تأملية، فرأى في سقوطها مآرب أخرى، إنه العالم إسحاق نيوتن (Isaac Newton) الذي وضع قانون الجاذبية الأرضية من خلال تفسيره علاقات السببية التي تربط بين الأشياء وحدوث ظواهرها. ويحسب للفخر الرازي بحق فضل السبق في رسالته عن

الحاجات؛ لأنها جاءت مشتملة في مضمونها وطريقة ترتيب الحاجات فيها الطريقة التصاعدية عند أبراهام ماسلو، بالارتقاء من رتبة إلى أخرى فيقول: "فسُعود الإنسان في أول الأمر إنما يحصل بهذه اللذات الحسّيّة. ثم إذا توغّل فيها، وقضى وطره منها، فحينئذ تسمو نفسه إلى المرتبة الثانية، وهي الاستسعاد باللذات الخياليّة، وهي الرئاسة، ونفاذ القول، والأمر والنهي. فاذا توغل فيها، ورزق الوقوف على ما فيها من الآفات والبليّات، ترقّى منها إلى المرتبة العالية، وهي طلب اللذّات العقلية، والاستسعاد بمعرفة هذه الأشياء بقدر الطاقة البشريّة"(١).

و(اللذات العقلية)عند الرازي يقابلها في نظرية ماسلو الحاجات المعرفية (Cognitive needs). يقول الرازي : مفسرًا (اللذات العقلية): "هي لذة العلم والإحاطة بحقائق الأشياء، وبيان ما فيها من جهات الرغبة والنفرة. ونسأل الله الكريم أن يطلعنا على حقائق الأشياء بقدر الطاقة البشريّة" (٢).

المطلب الثاني: السلم الحاجي للمطالب الإنسانية عند الفخر الرازي من منظور مقارن:

احتوت هذه المختصرات الحاجية الثلاث عند الرازي مضمون سلم الحاجات عند ماسلو، فيرى الفخر الرازي أن الانتقال من مرتبة إلى أخرى بين هذه المستويات الثلاثة لا يكون إلا إذا أشبعت ما قبلها، وهي نفس الفكرة التي قامت عليها نظرية أبراهام ماسلو، وقد أظهر الرازي في هذه الرسالة إدراكه العميق للكثير من مكنونات النفس البشرية وطويتها، وبيَّن فيها رأيه تجاه حقائق النفس البشرية ودوافعها وحاجاتها وإشباعها، وما تتعلق به من الحاجات، وخلص في هذه الرسالة إلى أن اللذات الدنيوية المطلوبة ترجع إلى أمر من أمور ثلاثة سماها :١- اللذات الحسية ٢- اللذات الخيالية ٣- اللذات العقلية، ثم بيَّن أن هذه الأنواع الثلاثة من اللذات غير تامة في تحصيلها؛ لأنها تدفع الآلام الحاصلة وقت الحرمان

بالإشباع وهي بذلك حاجات متكررة كلما نقصت أُشبعت، ووصفه لها بالآلام هو ما يقصده علماء النفس المعاصرون بالتوتر، الذي ينشأ حالة نقص حاجة من هذه الحاجات، يقول الفخر الرازي عن (اللذات الخيالية) لذة الرئاسة والجاه: "إن الساعي في تحصيل الرئاسة إنما يسعى لدفع ألم الحرص والطلب ... لأنه إن لم يفز بمطلوبه، كان البلاء الحاصل بسبب الحرمان بعد الطلب الكامل أشد. وإن فاز بمطلوبه، كان التذاذه به أقوى، فكان حرصه على طلب الأزيد أقوى، فكان البلاء الحاصل بسبب ذلك الحرص أقوى، فثبت أن حصول الرئاسة لا يزيل ألم الطلب والحرص بل يقويه ويزيد فيه. ولّما كان لا نهاية لمراتب القدرة، فكذلك لا نهاية لمراتب الآلام المتولّدة من الحرص ... "[1]، وهذا القسم الثاني من أنواع اللذات عند الفخر الرازي وهي الاستسعاد باللذات الخياليّة، وهي الرئاسة، ونفاذ القول، والأمر والنهي، يقابله ويساويه عند أبراهام ماسلو حاجات التقدير: تقدير الذات، والإنجاز، والسيطرة، والاستقلالية، والحالة الاجتماعية، والمظهر الخارجي، والسمعة والاحترام، كما بيّناه عند ماسلو من قبل، وهو تصور دقيق أيضًا لما تكون عليه الحاجات ودوافعها من حالات نشطة ديناميكيَّة من التصاعد والهبوط الذي لا ينتهي، على العكس تمامًا من الثبات والجمود الموجود في تصور ماسلو الهرمي لهذه الحاجات، بينما نجد إشباعها ونقصها أمرًا متجددًا لا يقر بالسكون عند الرازي، فأنت إذا جعت أكلت، وإذا نعست نمت، وإذا حصّلت قدرًا من الجاه والرياسة والمناصب زدت منها، وإذا طلبت معرفة الأشياء لا تبلغ منتهاها ... إلخ ولذا فهي لذات غير تامة طوال الوقت بل متحركة بين الهبوط والصعود وغير منتهية، وهو الأمر الذي جعل عالم النفس الأمريكي الدرفر [Alderfer] يستدرك هذا الأمر على نظرية ماسلو، وسنبين ذلك في الصفحات التالية، والعجيب حقًا أيضًا أن الدرفر [Alderfer] نفسه اختصر سلم الحاجات إلى ثلاثة مستويات كما هو

الشأن عند الفخر الرازي، فالحاجات عنده: حاجة البقاء، وحاجات الانتماء، وحاجات النمو.

يقول الرازي: "إن اللذّات المطلوبة في هذه الحياة العاجلة محصورة في أقسام ثلاثة هي اللذّات الحسّيّة، وهي قضاء الشهوتين. وأوسطها اللذات الخياليّة، وهي اللذات الحاصلة من الاستعلاء والرئاسة. وأعلاها: اللذات العقلية، وهي اللذات الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها"[1]. ويبدو أن تسمية رسالته (ذم لذات الدنيا)، جاء مرتبطًا بالتصور الإسلامي المعرفي لها، فهو يرى أن لذات الدنيا ناقصة غير تامة، بالنسبة لعظيم لذات الآخرة، ومهما حصّل الإنسان من ملذاتها يظل منهومًا للاستزادة منها، رغم ما يعانية في سبيل تحصيلها من الآلام والمنغصات، فالدنيا دار الكد والتعب والنكادة، مهما حصّل الإنسان فيها من حاجات وملذات دنيوية أو معرفية. وكلما أحرز مرحلة متقدمة في هذا السلم الحاجي تطلع الإنسان إلى الاستزادة لما بعده من درجات، وقد أعرب الرازي عن هذا المعنى كثيراً في مواطن عديدة. وصدق رسولنا الكريم حين قال: (مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا)[1].

ولو نظرنا إلى قطبي السلم الماسلوي بين الحاجات الدنيا والحاجات العليا سنجده قد جعل حاجة الإنسان للمعرفة هو فهم إنساني محض للعلم المعرفي الذي يدرك فيه الفرد ما حوله بصورة صحيحة، ونظمه في سلمه التصاعدي بقوله: الحاجات المعرفية (Cognitive needs)، وهو في قمة الهرم الماسلوي، وعلى وجه التحديد في المرتبة قبل الأخيرة لمصفوفته الهرمية، التي تنتهي بتحقيق الذات، ويسعى الإنسان للوصول إليها، فهي غاية من عظيم الغايات لديه، إنها المعرفة والإدراك، وهي بالنسبة له غاية لا تحركها الدوافع الدنيا التي تدفع الإنسان ليصل إليها بل هي غاية مجردة من العلل والسببية مستقلة بنفسها مستغنية بالعلم عما

سواه، فهي تمثل حالة فريدة من النهم والعشق والهيام للعلم والمعرفة من أجل العلم، وهو ما يتفق تمامًا مع المفهوم النبوي الذي وصف فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) طالب العلم بالمنهوم الذي لا يشبع مهما حصل منه لمحدوديته قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا)[٢]، فطلب المعرفة والحاجات المعرفية عند ماسلو بنسقه المعرفي يطلبه الإنسان لذاته، لا يترتيب عليه غايات أو أهداف، فهو يطلبه لذات العلم والمعرفة، فيقول : "الحاجة إلى المعرفة والفهم والاستكشاف ... خلق نسق معرفي يفسر العالم والوجود. وهي في المستويات الأعلى تصبح قيمة يسعى الإنسان إليها لذاتها، بصرف النظر عن علاقتها بإشباع الحاجات الأدنى"[٢٠].

المطلب الثالث:(اللذات العقلية) عند الرازي ومعادلها المعياري عند أبراهام ماسلو:

تتسم اللذات العقلية عند الرازي باستيعابها الحاجات المعرفية عند ماسلو، كما تتسم بعمق الفكرة الفلسفية لديه حيث يشعر بعجزه إزاء إشباع هذه اللذات المعرفية عند حديثه عن النوع الثالث (اللذات العقلية)، فإنه بيَّن أن المرء لا يستطيع أن يصل فيها إلى غاية الحقيقة والكمال في معرفتها، ولذلك فهي منغصَّة عليه

وإذا كانت لذة طالب العلم تحصل في إدراك حقائق العلوم، وكان إدراك حقائق هذه العلوم على الكلية من المحالات، فإن تحصيل هذه اللذة غير ممكن. وأن إدراك حقائق الأشياء كاملة أمر غير ممكن، ومما يدل على ذلك أنه حث في نهاية هذه الرسالة إلى الرجوع إلى طريقة القرآن، والغرض من ذلك كما بينه هو نفسه، أن طريقة القرآن تعتمد الأدلة القاطعة، والحقائق الثابتة لمصدريتها عن الله. وهو ما استقر في يقينه بعد طول مجاهدة في مسائل الكلام ومتاهات المتكلمين بين المنقول والمعقول، فلما وصل إلى قمة نضوجه المعرفي، قال في ختام هذه الرسالة

القيمة: "واعلم أنك متى أحطت بهذه المقامات العالية، والمقدمات الرفيعة الشريفة، ووقفتَ على ما في كل واحدٍ منها من السؤالات المشكلة والاعتراضات الغامضة، علمتَ أن المعرفة اليقينية صعبةٌ، وأن الجزم في كل بابٍ بحيث يكون خاليًا عن المرية والاضطراب عزيز وإذا كان الأمر كذلك فالشوق شديد، والحرمان غالبٌ، والآلة ضعيفة، والمطلوب قاهر"(١).

لقد عدل الفخر الرازي عن منهج المعتزلة في آخر حياته: فها هو العلامة الفهامة الفخر الرازي رئيس أهل الاعتزال في زمانه وندبم الفلاسفة أعلن ندمه وأدرك بعد طول معاقرته للفكر الفلسفي وإطلاق العنان للعقل في بلوغ لذته التي تتحصل بالكشف عن حقائق الأشياء وبخاصة المسائل المتعلقة بالذات والصفات وجده – بعد طول عناء ومكابدة – أمر محال ولا سبيل إلى الوصول إليه، ولما حصل له اليأس في بلوغ غاية النفس إلى اللذات العقلية تمنى أن لو كان هو والعدم سواء. يقول الفخر الرازي: "... وأما اللذات العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها، والقرب منها، والتعلق بها؛ فلهذه الأسباب نقول: ليتنا بقينا على العدم الأول، وليتنا ما شاهدنا هذا العالم، وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن. فأسألك بوجوب وجودك وكمال جودك وهوية ألوهيتك، وكمال صمديتك، وبتلك الحقيقة التي لا يعرفها أحد إلا أنت وبتلك الكمالات التي لا يعرفها أحد إلا أنت، أن تعفو عني في كل ما أخطأت، وأن تقبل مني كل ما ارتضيته مني من الأعمال..."(٢).

المطلب الرابع:ابن القيم الجوزية (٦٩١-٧٥١ه) وتأثره بسلم الحاجات عند الفخر الرازي:

لقد تأثر من جاء بعد الفخر الرازي بتقسيمه لاحتياجات الناس الدنيوية وملذاتها، ومن هؤلاء ابن القيم الجوزية وجاءت متطابقة تمامًا وتابعه فيها حَذْوَ

الْقُذّةِ بِالْقُذّةِ، بقضّها وقَضِيضِها، فقال: "إن أقسام اللذة ثلاثة: لذة جسمانية، ولذة خيالية وهمية، ولذة عقلية روحانية".

– فاللذة الجسمانية: لذة الأكل والشرب والجماع. وهذه اللذة يشترك فيها مع الإنسان الحيوان البهيم. فليس كمال الإنسان بهذه اللذة لمشاركة أنقص الحيوانات له فيها.

– أما اللذة الوهمية الخيالية: فهي لذة الرئاسة والتعاظم على الخلق، والفخر، والاستطالة عليهم. وهذه اللذة وإن كانت طلابها أشرف نفوسًا من طلاب اللذة الأولى، فإن آلامها وما توجبه من المفاسد والمضار أعظمُ من استلذاذ النفس بها، فليست هذه في الحقيقة بلذة، وإن فرحت بها النفس وسرت بحصولها.

– وأما اللذة العقلية الروحانية فهي: لذة المعرفة والعلم، والاتصاف بصفات الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحِلم والمروءة، وغيرها... فإن الالتذاذ بذلك من أعظم اللذات. وهو لذة النفس الفاضلة العلوية الشريفة. فإذا انضمت اللذة بذلك إلى لذة معرفة الله تعالى ومحبته، وعبادته وحده لا شريك له، والرضا به عوضًا عن كل شيء، ولا يتعوض بغيره عنه، فصاحب هذه اللذة في جنة عاجلة، نسبتها إلى لذات الدنيا كنسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا..."[1].

المبحث الثاني : نظرية أبراهام ماسلو في ميزان التقييم .

المطلب الأول : انتقادات موجه لنظرية ماسلو :

يرى منتقدوه أن هذا الشكل الهرمي الذي تصوره ماسلو لا يكترث فيه كثيرًا بخصوصيات إنسان عن آخر والتي من شأنها أن تغير من دوافعه وحاجاته التراتيبية لأولوية الحاجات عنده، أو اختيار ما يناسبه من الطرق والوسائل التي يحقق بها ذاته بطريقة تتلائم مع بيئته وثقافته، فيرى ماسلو أن "نوع الحاجة هو الذي يحدد لك ما تريد لا أنت الذي تحدد ما تريد، فلا يمكنك مثلًا القفز من أسفل الهرم إلى

أعلاه، بمعنى لا يمكنك أن تتصور مثلًا شخصًا ما لم يكمل حاجاته العضوية الأولية من مأكل ومشرب أن يفكر في العدل وحب الآخرين ومساعدتهم في حل مشاكلهم، بل وفق نظريته، فإنه لا يمكن للمرء تحقيق هذه المعاني والوصول إلى أعلى الهرم إلا بعد تجاوزه الستين من عمره، ولا يوجد حسب رأي ماسلو في بلاده أمريكا من وصل هذه الدرجة من هرمه إلا واحد في المائة"[1].

المطلب الثاني: شهادة إنصاف لنظرية أبراهام ماسلو ترد على منتقديه:

رغم الانتقادات الشديدة التي وُجهت لمصفومة ماسلو الهرمية، فقد أبدى تفهمه – إلى حد ما- في بعض الاستثناءات الخاصة لبعض الأفراد الذين قد تتغير عندهم الأولويات التراتيبية لسلم الحاجات عنده، وإن كان ذلك لم يشفع له عند منتقديه، وقد نقل لنا هذا التفهم عن ماسلو الدكتور محمد عبد الرحمن في كتابه نظريات الشخصية بقوله: "ويمكن التسليم بإمكانية تطبيق النموذج الهرمي على معظم الناس، ولكن تختلف طرق إشباع هذه الحاجات باختلاف الثقافات، فأعضاء القبائل البدائية ربما يحققون التقدير عندما يصبحون صيادين جيدين، أما هؤلاء الذين يعيشون في المجتمعات التكنولوجية فهم أكثر سعيًا لإشباع هذه الحاجات من خلال تحقيق مناصب إدارية متقدمة. كما يوافق ماسلو على وجود استثناءات متنوعة، فبعض الناس ينظر إلى التقدير على أنه أكثر أهمية من الحب، بينما يرى بعضهم الآخر أن الابتكار أرفع مستوى من الحاجات الأخرى كلها، وقد تنشأ حاجات القمة (الحاجات العليا)، بعد تكرار الإحباط الحاد للحاجات الدنيا، فضلًا عن إشباعها (مثال ذلك إزاحة الحاجات الجنسية إلى نشاط فني). ولكن أسهل طريق يحررنا من سيطرة الحاجات الدنيا الأكثر أنانية، ويحقق لنا في الوقت ذاته مزيدًا من الصحة النفسية هو إشباع هذه الحاجات (Maslow, ١٩٧٠ b)"[1].

ويتفق عبد العزيز بو شعير مع هذا التفهم الذي أوضحه ماسلو عن نظريته فيقول: "إن ترتيب هذه الحاجات من حيث القوة والضعف يخضع لجملة من القيم الأخلاقية والقيم الفكرية المنبثقة من النسق الثقافي لأية أمة. فبالنسبة إلى ماسلو ليس من الضروري أن تعمل حاجات الإنسان طبقًا للنسق الذي قدمه، وليس من الضروري أن تنطبق هذه الحاجات على كل بني الإنسان. فهذا السلم يمكن أن ينطبق على الأفراد فيقدمون التضحية بالحاجات الفيزيولوجية والأمن لإشباع الحاجات الأخرى كحاجة التقدير أو احترام الذات، مثل ما فعل القائد الهندي (غاندي) في فترة الكفاح ضد الاحتلال البريطاني، أو مثلما فعل جيل الصحابة الذين قدموا المثل الفريد للتضحية بالحاجات الفيزيولوجية والأمن في سبيل الارتقاء إلى حاجة تحقيق الذات. فترتيب الحاجات إنما يكون محكومًا بالمفهوم الذي نشكله حول الطبيعة الإنسانية أولًا، والمنظومة الأخلاقية التي نؤمن بها ونعمل بها ثانيًا، وبتصورنا للوجود والحياه والإنسان في إطار الرؤية الكونية الحضارية التوحيدية ثالثًا" (1).

المبحث الثالث: نظرية المقاصد والحاجات الإنسانية من منظور مقارن.

المطلب الأول:دافعية السلوك والحاجات في (نظرية المقاصد الشرعية) مقارنة بنظرية ماسلو:

تتحرك دوافع الفرد المسلم داخل منظومة المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، وتعرف هذه المقاصد عند علماء الأصول (بنظرية المقاصد) وكانت البداية الحقيقية لهذا العلم على يد الإمام الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، وإن سبقها بعض المحاولات والإرهاصات المتقدمة تاريخيًا، التي يحسب لها قصب السبق، وكانت على يد الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه)، وأبي يزيد البلخي (ت٣٢٢ه) في القرن الثالث الهجري، والعجيب حقًا أن العالمين الجليلين سالفي الذكر كانت لهما صلات وثيقة

بتأسيس علم النفس الإسلامي (النفساني)، فكانت لهما نظرات متقدمة في السلوك النفسي تضارع ما جاءت به أحدث النظريات العلمية الحديثة في مجال علم النفس العلاجي عن طريق السلوك المعرفي، وليس التوصيفي، فسبقا بذلك نظرية أبراهام ماسلو ذات المنهج الوصفي.

وقد اخترت هذين العلمين من أعلام الفكر الإسلامي؛ لسبقهما الحقيقي في التأسيس المبدئي لنظرية المقاصد الشريعة التي تبلورت واكتملت على يد الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، ولكون كلاهما قد أسهم بأفكار فريدة أرهصت لولادة نظرية المقاصد بشكل لافت قد أذهل الكثيرون من العلماء في العصر الحديث، بسبب هذا السبق في مرحلة مبكرة، هذا بالإضافة إلى ما وصلا إليه من نتائج ودراسات نفسية عميقة قائمة على تشابك الصحة النفسية بالصحة الجسمية انطلاقًا من تعاليم القرآن والكريم والسنة النبوية في حضهما الدائم على التوازن والتكامل بين الروح والجسد في طلب الحاجات، ويشرحان طبائع النفس البشرية، وسمات الروح الإنسانية، بكل ما فيهما من نزعات الخير والشر، وكيف تكون النفس في سويتها وانحرافها وهو ما يعرف في أصول علم النفس بالنفسجسمية (السيكوسوماتية)، ويبدو أن مرد العجب عندي أو عند غيري يزول إذا ما علمنا أن علم المقاصد وعلم النفس يجتمعان ويتشابكان في أهداف واحدة تخص النفس البشرية وكيفية السمو بها، وغايتهما حاجات الإنسان النفسجسمية، وذات علاقات وثيقة بنظرية الحاجات عند أبراهام ماسلو، لنفس الأسباب الجامعة بينهم، ومن برع في تحليل المقاصد الشرعية واستقرائها وبيان علل الأحكام ومقاصدها للناس، لا شك أفهم الأقدر على فهم النفس البشرية، رحم الله العالمين الجليلين، الحكيم الترمذي وأبا يزيد البلخي على ما قدماه للعلم والعلماء، ومن أيادٍ بيضاء في علم المقاصد وللطب النفساني، عجز عن مدها إليهما سواهما في هذا الوقت المبكر الذي لم

يُعهد فيه هذا النوع من الكتابات الرصينة التي تؤصل بحق لهذين العلمين بشهادة من جاء بعدهما من أهل التخصص، كما سنبيِّن.

المطلب الثاني: علم المقاصد قبل الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، وارتباطه بعلم النفس عند الحكيم الترمذي وأبي يزيد البلخي:

أ- الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه) مؤسس علم المقاصد:

عالم أصولي محدث - وهو غير المحدث أبو عيسى محمد الترمذي (ت٢٧٩ه) صاحب السنن- تميز الحكيم الترمذي بغوصه في المقاصد، ويدل على تبحره في علم المقاصد مؤلفاته الصريحة في الفكر المقاصدي، كما في (إثبات عِلَل الشريعة)، و(عِلَل العبادات)، و(الصلاة ومقاصدها)، و(الحج وأسراره). وأما كتابه المعروف (نوادر الأصول)، الذي نهج فيه النهج المقاصدي "يعده الدكتور أحمد الريسوني حامل لواء علم المقاصد في عصرنا، أول من تكلم في علم المقاصد، فهو يكاد يتوقف عند كل آية وكل حديث ليكشف ما وراء النص أو ما يحمل النص من معان لا تظهر لأول وهلة، وهذا الذي دفعه للبحث المضني عن الروابط الخفية بين النصوص الشرعية الصحيحة ومتعلقاتها السلوكية"[1].

ب- الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه) رائد مدرسة علم النفسي المعرفي:

أما عن إسهامه المائز في مجال علم النفس المعرفي السلوكي، فقد سبق عصره في كتاباته عن الصحة والمرض النفساني في فترة زمنية مبكرة، بأسلوب مختلف عن أقلام وكتابات معاصرية، وذلك قبل إثنى عشر قرنًا، وبالتحديد القرن الثالث الهجري، ويمكن الرجوع إلى كتابيه (السلوك عند الحكيم الترمذي)، و(أدب النفس)؛ للوقوف على ذلك تفصيلًا، ويشير الوزاني إلى مبادىء مدرسته في تحليل النفس البشرية قائلًا: "الحكيم الترمذي يفصل أصول الرياضة النفسية وهي المجاهدة، وأثناء هذا التفصيل تظهر لنا معالم مدرسته في تحليل النفس الإنسانية ...

مرتكزه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩)، فتحاليل الترمذي غايتها تذوق حقائق الإيمان العليا والحياة على بصيرة، فهي مبادىء لمدرسة في علم النفس تنطلق من عالم الإيمان، وهو ما أود أن أطلق عليه "علم النفس المعرفي"، ويشمل كل الآليات النفسية الناتجة عن تفاعل مقومات متعددة من الكيان في نسق خاص يمزج المعرفي مع الوجداني مع السلوكي، متفاعلًا في الوقت نفسه مع البيولوجي والبيئي والثقافي والفلسفي والتحليقي والمتسامي"[٢]. إن ما أشار إليه الوزاني عن علم النفس المعرفي عند الحكيم الترمذي يشبه إلى حد كبير نظرية الحاجات عند ماسلو بشقيها البيولوجي والروحي المتسامي وإن اختلف المرتكز العقدي عند كل منهما بالنسبة للجوانب الروحية المتسامية كما بيناه.

ج- أبو يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ) ومقاصد الشريعة:

أبو يزيد أحمد بن سهل البلخي، أحد أعلام علماء القرن الثالث الهجري، تذكر المراجع والمصادر أن أبا زيد البلخي له نحو ستين كتابًا، ويعنينا هنا ما ألفه أبو زيد البلخي في الفكر المقاصدي وعلم الصحة النفسية العلاجية؛ لعلاقة العلمين بشكل مباشر بنظرية الحاجات عند أبراهام ماسلو.

يقول الدكتور محمد كمال الدين إمام "ويمكن أن يقال الكثير عن التفكير المقاصدي عند "أبي زيد البلخي"، وعن تأثيره في تلاميذه من علماء المقاصد وفي مقدمتهم "أبي الحسن العامري" وخاصة في كتابه "الإعلام بمناقب الإسلام"، إلا أن أغلب مؤلفات "البلخي" لم يبق منها إلا العناوين، وهي تتناول علومًا شتى، مما يؤكد مشاركة البلخي الهامة في منظومة العلوم الإسلامية كلامية وأصولية وفقهية وفلسفية ولغوية وسياسية وأخلاقية، وأدبية وتاريخية، والأقرب إلى الصواب أن دراساته كانت متميزة بالعمق والمنهجية؛ لأنهما سمة كتابه "مصالح الأنفس

والأبدان"، ولا شك لدينا في أن كتابه المفقود "الإبانة عن علل الديانة"؛ هو في بيان وجوه الحكمة في الأوامر والنواهي الشرعية، وإذ نتطلع بفارغ الصبر إلى هذا الكتاب لنراه في عِداد تراثنا الموجود لا المفقود، فحسب البلخي إثراءه عالم المقاصد بمنهجية تعتمد التعليل وقواعد المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، في الفهم المقاصدي للعلوم الإسلامية والاجتماعية والطبيعية، مع الانتقال بها من التجريد الذي يتّصِف بالعمومية، إلى التطبيق الذي يحدد الضوابط ويَحكُم التفاصيل والجزئيات، وإلى تفعيلٍ للمقاصد في القرن الثالث الهجري سبق به أهل زماننا باستشراف، في التنظير والتنزيل، يتحدَّى القرون التالية "[1].

د- أبو يزيد البلخي(ت٣٢٢هـ)عالم نفساني سبق عصره:

كما برع في الفكر المقاصدي نبع بعبقرية قل نظيرها عند علماء عصره في الكتابة عن تكامل الصحة الجسمية والنفسية في كتابه (مصالح الأبدان والأنفس) وغيره من الكتب التي تناول فيها النفس البشرية بالتحليل والنظرة الممحصة تشخص المرض وترشد إلى العلاج بنظرة إمبريقية تجريبة حسية لا تعتمد المنهج الوصفي فقط بل الكشف والإبانة عن العلل النفسية وكيفية الاهتداء إلى علاجها.

يقول الدكتور محمد كمال الدين إمام "كما استطاع أن يسبق عصره بأكثر من ألف عام لتصبح مؤلفاته ليست مجرد إرهاص لعلم الصحة النفسية، ولكنها إسهام حقيقي يصعب تجاوزه، وإن أمكن تطويره والإضافة إليه"[1].

"ولقد أحسن الدكتور فؤاد سزكين مدير معهد العلوم العربية والإسلامية في ألمانيا صنعًا حينما قام بتصوير مخطوطة القيّمة (مصالح الأبدان والأنفس) لأبي زيد البلخي، فلا يكاد المتخصص في الطب النفسي وعلم النفس السريري الحديثين يصدق عينيه وهي تنتقل بين صفحات هذا السفر المدهش الذي يضم بين دفتيه أحدث ما توصل إليه علم النفس العلاجي المعاصر، فلا يشك المرء عند قراءته

لفهرست المخطوط أنه لكتاب حديث في الصحة النفسية والعلاج النفسي، ومن المؤكد أن النفسانيين المسلمين لو قرؤوا مخطوطة البلخي بتدبر لكانوا هم الرواد للعلاج السلوكي وللثورة المعرفية الحديثة في ميدان العلاج النفسي، ولما أضاعوا عشرات السنين في التقليد الأعمى لنظريات وممارسات غريبة فاشلة أو قليلة الجدوى قامت على الفكر الإلحادي الرافض لروحانية الإنسان والتصورات المادية الآلية لطبيعته من مثل السلوكية المتطرفة والتحليل النفسي الفرويدي الذي سيطر على نظريات العلاج النفسي وتطبيقاته في الغرب لأكثر من سبعين سنة "[٢].

هذا وترتكز نظرية الشاطبي في المقاصد الشرعية، على عدة قواعد يتحرك المسلم من خلالها ليحقق غايات الشريعة، وتشبه نظرية المقاصد في أحد محاورها الرئيسة الثلاث -إلى حد كبير- الدوافع والحاجات التي تصورها ماسلو في نظريته عن الحاجات الإنسانية ودوافعها وإن اختلفت في ترتيب بعض هذه الدوافع والحاجات الأولى بالتقدمة في النظرية الإسلامية أيهم أولى بالعناية والرعاية من بعض تبعًا لخصوصيات الشريعة في فهمها العميق للأولويات الأحق بالرعاية والتقدمة من غيرها في هذه الحاجات.

يقول الدكتور طارق عبد الحليم "إن علماء المسلمين قد قدّموا هرميّة للضرورات الإنسانية تسبق ما قدمه هؤلاء الباحثون من الغرب بما يزيد على عشرة قرون، فقد قرروا أن الناس يسعون إلى تحصيل مصالحهم حسب هرمية من خمس طبقات، كلّ طبقة منها لها ثلاثة مستويات، وهذه الطبقات هي: الدين، والنفس، والمال، والعقل، والعرض (أو النسل). وهذه الهرمية أدق وأشمل من هرمية ماسلو إذ إن التجربة البشرية أثبتت أن ضرورة الدين تتقدم كلّ الضرورات البشرية في غالب الأحيان. ثم إن كلّ طبقة تنقسم إلى ثلاثة مستويات متتالية، هي مستوى الضرورة Necessity، ثم مستوى الحاجة Need، ثم مستوى التحسين

Improvement. ويتحرك الإنسان في حياته وحوافزه من خلال هذه الهرمية ذات الخمس عشرة درجة"(٢١).

يقول الشاطبي مؤسس نظرية المقاصد: "وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها، أن تكون ضرورية.والثاني:أن تكون حاجية. والثالث: أن تكون تحسينية"(٢٢). والضروريات لها مستويات في نظرية المقاصد عند الشاطبي، وهي تناظر الحاجات في نظرية ماسلو، فما هي إلا الحاجات التي تصل الحاجة إليها إلى حد الضرورة، وهي بتعبير الطاهر ابن عاشور "تلك التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها"(٢٣). وذكر الشاطبي أن هذه الضرورات خمسة هي: "حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العقل"(٢٤).

ورصد الدكتور طارق عبد الحليم الجزء الخاص من المقاصد الذي يناظر ما جاء في نظرية ماسلو بقوله: "ينبعث الفرد المسلم في حركاته وسكناته ساعيًا نحو تأمين حاجته من متطلبات خمس رئيسية، تدور حولها سائر حاجاته الإنسانية وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وهذه الحاجات الخمس هي التي تبعث الفرد على إتيان أعمال محددة لحفظها ومنع زوالها؛ إذ بها تتحقق أقصى مصالحه على وجه الكمال، سواء في الدنيا أو في الآخرة، كما أنه بعدمها يتعرض للتلف الآجل أو العاجل"(٢٥).

وتأتي الحاجة الدينية في صدارة الحاجات والمقاصد الأولى بالتقدمة عند المسلمين بينما نجد أبراهام ماسلو قد غيب هذه الغاية وعمل على إقصاء البعد الديني تمامًا من نظريته كما سنرى ذلك بالتفصيل عند الحديث عن مواضع الخلل في نظريته.

وأشار جاسر عودة إلى أوجه الشبه بين نظرية المقاصد ونظرية ماسلو غير أنه بين أن هذه الدوافع والحاجات عند ماسلو وإن شابهت في مضمونها العام المقاصد الشرعية في الأهداف إلا أن ماسلو استبعد منها النواحي الروحية بمعناها الديني

فهي دوافع وحاجات غير مصبوغة بالصبغة الدينيه، ولذلك أطلق عليها مصطلح (لا الإلهيّة)، فيقول: "وتذكّرني درجات الضرورة بهرم أبراهام ماسلو الذي صمّمه في أواسط القرن العشرين، وعرض فيه المصالح والدوافع الإنسانيّة (لا الإلهيّة)، وسمّاها "سلّم الحاجات". فالحاجات الإنسانيّة، بحسب منظور ماسلو، تتنوّع ما بين الحاجات البدنيّة الأساسيّة إضافة إلى الأمن، ويأتي بعدها الحاجة إلى الحبّ والتّقدير، وأخيرًا "تحقيق الذّات"... وهذا التشابه بين تصنيف الشّاطبيّ ونظريّة ماسلو من حيث مستويات الأهداف شيء لافت للنّظر"(٢٦).

"يأتي بعد الضّروريّات (الحاجيّات)، وهذه أقلّ ضرورة لحياة النّاس من الضّروريّات. ومن أمثلة الحاجيّات الزّواج والتّجارة ووسائل النّقل. فيشجّع الإسلام على تلبية هذه الحاجيّات، وينظّم أمورها. غير أنّ عدم تحقّق هذه الحاجيّات ليس مسألة حياة أو موت، وخاصّة على مستوى الفرد. فمثلاً لا تتعرّض الحياة البشريّة للخطر إذا قرّر بعض الأفراد ألاّ يتزوّجوا، ولا تتعرّض للخطر إذا قرّر بعض الأفراد ألاّ يتاجروا. غير أنّه إذا لم تتحقّق أيّ من الحاجات بالنّسبة لمجموعة كبيرة من النّاس، فإنّها تنتقل من مستوى الحاجيّات إلى مستوى الضروريّات، ولهذا وجدت القاعدة الفقهية التي تقول: "الحاجة إذا عمت نزلت مترلة الضرورة"، أي أن أيّ حاجيّة تشمل أعداداً كبيرة من النّاس يجب التّعامل معها وكأنّها من الضّروريّات"(٢٧).

" وأمّا (التحسينيّات) فهي أمور تجمّل الحياة، مثل العطور، والملابس الجذّابة، والبيوت الجميلة. فهذه الأمور يحبّذها الإسلام، ويعتبرها علامات على فضل الله على البشر ورحمته التي لا حدّ لها، ولكنّ الإسلام يريد كذلك ألا يعطي المسلم هذه الأمور الأولويّة في حياته وإنّما يعطي الأولويّة لما سبق من المقاصد"(٢٨).

المبحث الثالث النظرية المقاصدية من منظور مقارن.

المطلب الأول: عمق التصور الإسلامي في نظرية المقاصد الشرعية من منظور مقارن بين ماسلو (Maslow) وتعديلات الدرفر[Alderfer] .

يبدو أن النجاح الذي أحرزه هرم ماسلو في سلم الحاجات الإنسانية قد أغرى من جاء بعده بمحاكاة هرم ماسلو بصورة أو بأخرى، بإجراء تعديل على مدرج ماسلو (Maslow)، لعله يحظى بالنجاح الذي أحرزه هرم ماسلو، فقام الدوفر [Alderfer] بوضع هرم للحاجات الإنسانية على غرار هرم ماسلو، لكنه بوضع هرمي منقرعي مصغر؛ فقلص مستوى الحاجات الإنسانية إلى ثلاثة مستويات.

المطلب الثاني: هرم الدرفر [Alderfer] للحاجات:(٢٩)*

قدم الدرفر [Alderfer] سنة ١٩٦٩م هرمًا يشابه هرم ماسلو لكنه يحتوي على ثلاث حاجات:

١. الحاجة للبقاء [Existence Needs]: وتمثل الحاجات الفسيولوجية عند ماسلو.

٢. حاجات الانتماء [Reltelness Need]: وهي تمثل حاجات الانتماء والحاجات الاجتماعية وجزء من الحاجة إلى التقدير.

٣. الحاجات إلى النمو [Grawth Needs]: وهي تمثل الجزء المتبقي من الحاجة إلى التقدم ، مثل حاجات تحقيق الذات عند ماسلو.

المطلب الثالث: أوجه التطابق بين هرم ماسلو والدرفر:

"بمقارنه هذه الحاجات مع سلم حاجات ماسلو، فإنّ حاجة الوجود تناظر الحاجات الفيزيولوجية والأمان والاستقرار، وأنّ حاجة الارتباط تقابلها الحاجات الاجتماعية والحب والانتماء، وأمّا حاجة النمو فهي تشابه حاجات التقدير والاحترام وتحقيق الذات..."(٣٠).

المطلب الرابع:أوجه الاختلاف بين النظريتين وتعديلات الدرفر [Alderfer]:

حاول الدرفر [Alderfer] أن يتلافى الأخطاء التي وقع فيها ماسلو وكانت موضع انتقادات واسعة لنظريته، "فإنّ نظرية الدرفر تختلف عن نظرية ماسلو في كيفية تحريك الفرد وانتقاله من فئة إلى أخرى، فهو يرى أن الحاجات تشكل خطًا مستقيمًا وليس سلّمًا، ولا يعتقد بأنه يجب إشباع الحاجات الدنيا أوّلًا قبل أن تشكل الحاجات العليا دافعًا، بعكس ماسلو الذي يرى أنه يجب إشباع المستوى الأدنى قبل الانتقال إلى المستوى الأعلى كون الدرفر أشار إلى أنّ ثقافة الفرد ونشأته يلعبان دورًا في تحديد أسبقية وترتيب الحاجات" (٣١).

والحقيقة أن نظرية الدرفر تتسم بتصاعدية الحركة أثناء عملية الحفز، وهي بذلك مماثلة لدوافع التسلسل الهرمي للحاجات عند ماسلو، بيد أن الدرفر اختصر هذا التسلسل الهرمي إلى ثلاثة مستويات رئيسة، هي: البقاء والانتماء والنمو، ولكنه أضاف تعديلًا مهمًا، فجعل الحركة التصاعدية مرنة صعودًا وهبوطًا وهو ما سماه مبدأ (الإحباط والانحدار)، والذي يعني أن الفرد يمكنه أن يعدل من طموحاته وحاجاته في أية لحظة، إذا ما أُحبط في إشباع حاجة أعلى فإنه يتزل للبحث عن زيادة إشباع الحاجة الأدنى؛ لأنها تبدو أسهل للإشباع وسبق للفرد أن تعامل معها.

يقول الدكتور عبد المحسن سميح: "إن نظرية الدرفر تتفق مع سلم الحاجات إلا أنها تختلف عنها في كون انتقال الفرد من مستوى إلى مستوى آخر من الحاجات دون ضرورة إشباع الذي قبل، كما يمكن إشباع أكثر من حاجة في وقت واحد "(٣٢).

المبحث الخامس: تمتع نظرية المقاصد بالمرونة والترابط واستيعابها لأيـــة تعـــديلات مطروحة في الفكر الغربي:

طالت نظرية ماسلو الكثير من الانتقادات حول الجمود الخاص بدرجات سلمه الهرمي، مما أدى إلى أنَّ العالم الأمريكي الدرفر [Alderfer] يستدرك عليه ما فاته بأمرين بالرغم من أن أبراهام ماسلو قد أبدى تفهمه حول وجود استثناءات – كما بيناه– في طريقة الإشباع التي قد لا تلتزم بالسلم الهرمي عند ماسلو.

الأول: اختصاره للهرم الخماسي إلى ثلاثة مستويات.

الثاني: اعتماده حرية الحركة بين هذه المستويات صعودًا وهبوطًا وهو ما أطلق عليه الدرفر [Alderfer] (الإحباط والانحدار)، بينما تفردت النظرية الإسلامية البديلة لخماسية ماسلو وثلاثية الدرفر، بكونها أكثر حرية وحركة ومرونة من التعديلات التي أجراها الدرفر [Alderfer] على نظرية ماسلو؛ لأن نظرية المقاصد لا تؤمن بالحركة التصاعدية أو التنازلية فحسب، أو أن الحاجات تشكل خطًا مستقيمًا وليس سلّمًا في طريقة إشباع الحاجات الضرورية بها؛ بل جعلت هذه الضروريات الخمسة لمقاصد الشريعة بالنسبة للمسلم، تعمل على شكل دوائر منفتحة على بعضها ومتداخلة مع بعضها، وسنجد أن المساحات البينية بين هذه الدوائر تزيد أو تقل مساحة كل دائرة بالنسبة لتداخلها مع الأخريات بحسب إيمان المسلم بهذه المقاصد وأولوية كل مقصد منها بالنسبة له، وإن كانت هناك أولويات كلية شرعية مرعية في التقديم والتأخير بين هذه الكليات الخمس ، تأتي في مقدمتها وأعلى سنامها (الدين) مما أكسبها مرونة أكثر مما أضفاها الدرفر [Alderfer]على ثلاثيتة ذات المستويات الثلاثة بالصعود أو الهبوط بحركة عكسية رأسية لإشباع الأدنى من الحاجات إذا لزم الأمر، بالانحدار أو الهبوط في لحظات الإحباط واليأس، بينما نجد أن المسلم يدفعه إيمانه إلى التفاؤل، وعدم القنوط؛ لأن القنوط واليأس يتنافى مع القيم الإسلامية، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر:٥٦)، ويعالج الإسلام بتعاليمة حالات

اليأس والقنوط يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

وعن هذا الترتيب الذي يحظى بالقبول في ترتيب الأولويات الجديرة بالاهتمام للكليات الخمسة، أشار الدكتور فؤاد أبو حطب إلى الترتيب المتداخل لها كأنها دوائر متداخله، لمرونة هذا الترتيب فيقول: "أشار أستاذنا وإمامنا الشيخ الغزالي إلى أن هناك ضرورات متضمنة في ضرورات أخرى أي كأنها دوائر. هناك دوائر كبيرة جدًا وواسعة بداخلها دوائر أصغر فأصغر ... فدائرة الدين واسعة جدًا وتتضمن دوائر أخرى"(٣٣).

وبرر الدكتور جاسر عودة هذا الترتيب التداخلي للضرورات والمقاصد الشرعية الكلية لما لاحظه الشاطبي من العلاقات المتبادلة بين هذه الكليات بقوله: "وهناك تداخل وعلاقات متبادلة بين هذه المجموعة المتراكبة من المقاصد، هذا ما لاحظه الإمام الشّاطبيّ ، فالزّواج والتّجارة مثلاً، وكلاهما من مستوى الحاجيّات، يفيدان في الحفاظ على النّسل والمال، ولهما علاقة متينة بهذين الأمرين التابعين للضروريّات. وهكذا، والأمثلة كثيرة. لهذا فإنّ نقص أحد المطلوبات نقصًا واسعًا ينقل ذلك المطلوب إلى مستوى أعلى، فإذا كسدت التّجارة على مستوى واسع، كما يحصل في أثناء الأزمات الاقتصاديّة العالميّة، فإنّ هذا ينقل التّجارة من كونها إحدى "الحاجيّات" إلى كونها من "الضروريّات" وهكذا. لهذا يفضّل الفقهاء أن ينظروا إلى الضروريّات على أنّها "دوائر متداخلة"، بالتعبير المعاصر، بدلاً من أن تكون تدرّجاً هرميّاً صارمًا"(٣٤).

ولهذا تتسم الحاجات في النظرية الإسلامية بالواقعية والمرونة بخلاف ما وصفت به نظرية ماسلو من إستاتيكيَّة وجمود عند الكثيرين؛ حيث يفصل ماسلو بين الحاجات الإنسانية في سلّمه الهرمي المتصاعد، فلا يتسنَّى للفرد أن يجمع فيه

بين حاجتين في آن واحد، أو يعود القهقري لإشباع حاجات قديمة عجز عن إشباعها في الماضي، ولا يرتقي الدرجة الأعلى منه إلا إذا أشبع الأدنى؛ لهذا فإن الوضع الأفقي ذو الدوائر المتداخلة في المنظور الإسلامي هو الأولى والأنسب لجهوزيته في التحقيق، وقابليتة للقياس التجريبي على أرض الواقع العملي، والذي يؤكد على أن النظرية الإسلامية منظورها واقعي وذات معادل موضوعي، لا إبهار في وضعية الحاجات فيه، كما هو الحال في هرمية ماسلو التي افتتن بها الكثيرون، إلا أن التصور الإسلامي بدوائره المتداخلة في إشباع الحاجات والإحتياجات هو الأنسب والأوفق من الناحية الموضوعية على أرض الواقع العملي لا التنظيري، وهو ما يشعرنا بالفخر، فالنفس تختار من بين هذه الحاجات ما يتناسب ودوافعها، دون فصل بين الحاجات، وليس شرطًا أن يتطابق إشباع حاجات الإنسان وفق التسلسل الهرمي التصاعدي المفترض سلفًا، فرغبات الإنسان وحاجاته ليست مبرمجة، ولا هي قائمة في كتالوج ملزم معد سلفًا لا يجوز تجاوزه، بينما في الحقيقة لا تخضع هذه الحاجات غالبًا للترتيب الصارم الهرمي عند ماسلو؛ ولهذا يعد التوصيف الأفقي أو نظم الدوائر المتداخلة التبادلي لإشباع الحاجات وإقرار علماء المسلمين له، هو الأوقع في التناول والتطبيق، وفيه يختار كل شخص من الحاجات ما يلبي احتياجاته دون الالتفات للفواصل البينية التي تصورها أبراهام ماسلو في مصفوفته الهرمية، فقد تتداخل الحاجات وتتمايز القدرات الفردية بين الناس في إشباعها، بين ناجز قادر على تحقيقها، أو متقاعص محجم أو متردد خائف، أو عاجز راغم مضطر لعجزه، أو غافل عنها لا يدريها، فيعيش على هامش الحياه، كالريش في مهب الريح، وعلى هذا فقس أنواع البشر في حالات إشباعهم لاحتياجاتهم، وهذا يعني أن الحاجات النفسية تختلف في أولوياتها من شخص إلى آخر في محل التطبيق؛ لأن النفس البشرية تعج بالكثير من الحاجات المتطلبة في آن

واحد، ويكون ذلك بقدر أهميتها للنفس، من هنا وُجهت لنظرية أبراهام ماسلو الكثير من الانتقادات، رغم تفهمه لبعض الاستثناءات، بسبب تجاهل نظريته من الناحية الشكلية لعمل الحاجات الإنسانية بشكل ديناميكيّ حر متفاعل، وبالرغم من هذه المآخذ التي أُخذت على نظريته، فقد وجد الناس البريق والإبهار في تنظيم ماسلو للحاجات بهيئته الهرمية المتصاعدة، ولاقت مصفوفته الهرمية قبولًا بين العلماء والعامة، لسهولة قبول فكرة الشكل الهرمي في التنظيم التنظيري واستحداثه لفكرة لم تطرأ على ذهن من سبقوه، في كتاباتهم عن الحاجات، ومن ناحية أخرى لمعقولية التنظير الهرمي المتصاعد لهذه الحاجات من الناحية المنطقية الغالبة عند السواد الأعظم من الناس، فالإنسان عادة لا يتطلع إلى تحقيق الأهداف العليا إلا إذا استقرت له الحاجات الدنيا الضرورية غالبًا، ما لم توثر عومل أخرى وهي كثير، قد تؤثر على على هذا الترتيب الصارم بالقدر نفسه.

المطلب السادس: حفظ الدين والسلوك التعبدي ترسيخ لمفهوم الأمة الواحدة.

تهتم نظرية ماسلو بالفرد (الأنا) ودوافعه في إشباع حاجاته فهي نظرية قائمة على الكيان الفردي وشخصنة السلوك الذاتي، بينما نجد ترسيخ مفهوم الجماعة والأمة الواحدة من خلال السلوك الجماعي ودافعيته، وهو أمر ضروري لخلق كيان متماسك متراحم، تفتقده الأمم الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢)، وأوجب الله الوحدة وحرم الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ (الأنفال:٤٦)، وقد ساعد على هذا المفهوم ورسّخه شكل العبادات التي أمر بها المولى عز وجل والتي تأخذ في أدائها الطابع الجماعي بداية من الصلوات الخمسة في جماعة في كل

يوم وليلة، وصلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وصلاة الجمعة الجامعة لهم من كل أسبوع، وصلاة العيدين، وصلاة التراويح، وصوم المسلمين لشهر رمضان من كل عام، حيث يتوحد فيه الزمان والوجدان بين المسلمين حتى وإن تباعدت بينهم المسافات وتناءت بهم الأوطان، فإنهم يشعرون بحاجات الفقراء من الجوع والعطش، فيتراحمون بينهم ويأخذون من هذا الشهر الزاد والقوة الدافعة لسلوكهم الرباني بقية عامهم، ليصبح هذا المران في هذا الشهر المعظم منطقة للارتقاء بالنفس من ذاتيتها المقيتة وأنانيتها البغيضة، إلى آفاق من السمو والعلو للنفس البشرية بالتدريب العملي الذي يمدهم بالطاقة الروحية لبقية العام، ويتسابقون ويتسامون في هذه الأيام المعدودات في مقياس الزمن بأرواحهم فيشبهون ملائكة السماء، فيأتمرون بما أمرهم الله ولا يعصون الله فيما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون.

إنها منطقة المران السنوي والتأهيل النفسي للانحراف السلوكي لتقويمه وتدريبه على البذل والعطاء والترقي في درجات الإيمان والكمال الإنساني الحقيقي للتدافع الإسلامي للسلوك النموذجي عند المسلمين، وما يجب أن يكون عليه الإنسان لإشباع حاجاته وحاجات الآخرين، فيشبهون بذلك ملائكة السماء، فلا يأكلون ولا يشربون، وأما شعيرة الحج فيجتمع فيها الملايين من المسلمين لأداء هذه الفريضة كل عام، وتتجه فيها قلوب المسلمين وأفئدتهم نحو المكان ومع اتحاد الزمان من كل أصقاع الأرض من يحج منهم، ومن لم يحج بعد، فيتعزز لديهم مفهوم الأمة والجسد الواحد ، فما يفرحهم يفرح كل مسلم وما يحزن بعضهم يحزن جميعهم في أي بقعة من بقاع الأرض، ويجسد هذا المعنى حديث النبي – صلى الله عليه وسلم –: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[1]، ومنه أيضًا قوله –

صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه"[٢]، والمفهوم الإسلامي يرقى بنظرته للإنسان المسلم ويحثه على تحقيق حاجاته الإنسانية بطرقها المشروعة مع أسرته ومجتمعه، بل يسعد الفرد من خلال المجموع، ومفهوم الأمة يعيش في وجدانه الجمعي ولا يشعر المسلم بالسعادة الحقه إلا من خلال سعادة الآخرين من حوله وسط إخوانه، ومن هنا جاءت التعاليم الإسلامية التي ترسخ ذلك المفهوم الجمعي للأمة الذي يضمن وحدتها، وتلاحمها، ويقيم حضارتها، ويضمن بقاءها، وقد انتبه الفيلسوف هيجل إلى هذه المقومات السلوكية العظيمة ودوافعها القائمة على السلوك الجمعي عند المسلمين وما يحدثه من آثار ونتائج عظيمة مقاومة للفناء أو الذوبان في ثقافات الأمم الأخرى حتى في حالات ضعفها بينما تتآكل الأمم من حولهم حتى وإن بدت هذه الأمم قوية بما تملكه من قوى مادية وثروات هائلة إلا أنها تحمل في طياتها فناءها بسبب الفضاء الروحي وتنحية الدوافع الروحية والدينية التي تصنع الفرق بفضل الانصهار في بوتقة الإسلام الجامعة والحاضنة لأتباعه بتعاليمه وعباداته التي تكرس للفكر والسلوك الجمعي، وتؤسس مفهوم الأمة الواحدة أينما تواجدت أبعاضها يجمعهم التوحيد والفطرة السليمة والوجدان الواحد والأهداف الواحدة متى اجتمعوا على كتابهم الواحد وسنة نبيهم، وعند تحقيق هذه المعادلة تتحقق المعجزات.

"لقد عالج هيجل (Hegel)* أحد دعائم الفكر الغربي الحديث هذه الناحية الدينية في مقدرة فائقة فتأثر بأن لكل عقيدة دينية (روحًا) تنفرد بها عن بقية العقائد، ومرجع ذلك إلى أن السلوك الديني هو عنصر من أهم مقومات الخلق القومي. ولعل رسوخ الإسلام وتعاليمه في عقليات الشعوب التي دانت به وأثر هذه التعاليم ومبلغ نفاذها إلى صميم الحياة الروحية والاجتماعية لتلك الشعوب على اختلاف حكوماتها الخلقية من عربية وفارسية وهندية وصينية هو الذي خلق

هذه الحضارة الإسلامية التي تعرف إلى الآن بها شعوب الإسلام على اختلاف لغاتها وبيانها وظروفها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية"[1].

لقد فطن هيجل (Hegel) إلى أثر التعاليم الإسلامية ومدى تمكنها من النفوس المؤمنة في صنع الفارق الهائل بين الأمة الإسلامية وبين الأمم الأخرى، لكنه لم يدرك السر الذي يجعل (السلوك الديني هو عنصر من أهم مقومات الخلق القومي)، والسبب كما أوضحت آنفًا دوافع السلوك الديني الجماعي الذي يوحد هذه الأمة مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم وجنسياتهم لأنهم آمنوا بمبادىء الإسلام الموافقة للفطرة السليمة ودانوا بتعاليمه المعالجة للسلوك المنحرف، فالسلوك الجمعي والمران اليومي للمسلم في الخمس صلوات في جماعة، والجمعة من كل أسبوع، وشهر التدريب والمران على الرقي بالنفس فوق الملائكية التي تشحن نفس المسلم بالإيمان بقية العام، وعمرة أو حج مرة في العمر، يغسل بها أدرانه من وضر الذنوب في أثواب بيضاء تسوى بين الناس جميعهم غنيهم وفقيرهم، تذكرهم بالممات والمعياد، في مشاهد مهيبة يؤدون شعائر ومناسك واحدة مع الآلاف والملايين من المسلمين الذين جاءوا من أرجاء المعمورة لأداء فريضة الحج التي فرضها الله على الناس، قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧). فمعظم العبادات في الإسلام تؤدَّى بطريقة جماعية وفي أوقات معلومة وهي تشير إلى وحدة الهدف والمصير الذي ينعكس بدوره على تشابه الدوافع والحاجات والغايات المأمولة، وطرق إشباعها وفق السلوك الإسلامي الذي نص عليه الشرع الحنيف.

وهذا التكريس للسلوك الجماعي في الأمة الإسلامية، بغرض ألا يترك الفرد هملًا أو نهبًا لدوافع شيطانية تستحوذ على نفسه وسلوكه، قال رسول -صلى الله عليه وسلم- : "عليكم بالجماعة فإن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية"[1].

وروى الترمذي في الجامع من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم– قال: " إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار"(٢). ورسالة الفرد المسلم تشبه رسالة الأنبياء في التبليغ والتناصح للجماعة المؤمنة، قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين"(٣). فيظل المسلم في يقظة ومعية دائمة مع خالقه ومع خلقه، ومع محيطه وإخوانه وهي معية دائمة الصلة وواجبة بالفرائض التي أوجبها الله على المسلمين في كل مكان يعيشون فيه، وواجبة على كل مؤمن ممتثل لمقاصد هذه الشريعة الغراء.

المطلب السابع: ترابط مقاصد الشريعة وتماسكها من منظور مقارن:

لا عجب أن ما توخاه الشرع الحكيم من غايات في دلالته على هذه المقاصد المستوحاة باستقراء العلماء لها، واستخلصوها من نصوص الوحيين أن تتصف حتمًا بالإحكام والترابط فيما بينها لربانية أصولها من ناحية، ولأهميتها لحياة الناس، ولتنظيم أمور دينهم ودنياهم من ناحية أخرى؛ ولذلك وصفها الأصوليون بالكليات الخمس والضروريات التي يترتبب وجود بعضها من عدمه على بعضها الآخر، ويؤثر بعضها في بعض، وهي نظرة تأسيسية مهمة أضافها بعض المعاصرين لنظرية المقاصد، وأثبتوا صحة ما ذهبوا إليه بالدليل فقالوا: "إن مقاصد الشريعة مترابطة فيما بينها ترابطًا محكمًا، بحيث يتوقف وجود بعضها على البعض الآخر"(٣٥).

"فلو عدم الدين لعدم الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش"(٣٦).

القسم الثالث: ويحتوي عدة مباحث

المبحث الأول: انتقادات نظرية أبرهام ماسلو ومثالبها من منظور مقارن.

أ- التَكْريسُ لمفهوم الفرد.

التمركز حول الفرد نظرة أنانية خالصة تعلي من شأن الفرد وتجعلة بؤرة الاهتمام عند أبراهام ماسلو في سلمه الهرمي ولا تعبأ هذه النظرية بالجماعة وطموحاتها، فلا تتحدث إلا عن حاجات الفرد (الأنا) بتعبير علماء النفس، وهو ما نلحظه ونأخذه على مصفوفة أبراهام ماسلو التي تركز على نمو الفرد الشخصاني في درجات ارتقائه لسلم الحاجات بمعزل عن محيطه الإنساني، فالانتماء فيها للفرد لا للمجموع ويرتبط ما يحققه من انجازات صوب أهدافه على فرديته دون مشاركة مجتمعية ، لغياب وحدة الهدف الروحي المنتمي لفكرة التدين العميقة، فيبقى الفرد هو المحور، وبالرغم من رغد العيش في المجتمعات الغربية فإنها تفتقد إلى دفء العلاقات الإنسانية؛ لأنها حضارة قائمة على المادية التي ألغت دور الدين واسقطت الكنسية من حساباتها؛ لأنَّها تعتبر الدين من المعوقات التي تحول دون التقدم الحضاري؛ لذا يعاني الإنسان الغربي من قسوة الحياة المادية بتأثيرها السلبي على إشباع البعد الروحي، فثقافة الفرد تدعو إلى الاستقلالية الفردية المتوحشة، فيترك الشاب أو الفتاة أسرته في سن مبكر من حياته، كي يشق لنفسه طريقًا خاصًا بعيدًا عن أبويه، وهذه الفردية المرحب بها لدي الغرب، أدت إلى تمزيق أواصر الأسرة عندهم، وقد يقول قائل: إن الاعتماد على الذات فضيلة مقدرة، وهي بلا شك كذلك، ولكنها ليست بالضرورة تعني أن يقتلع الإنسان من جزوره ومحيطه المجتمعي أو أن تغيب بسببها فضائل أخرى من التراحم والتكافل بين أبناء الأسرة الواحدة، يقول الدكتور طارق عبد الحليم: "وتجدر الإشارة إلى أن تلك النظرية التي تعالج الدوافع النفسية لدى (الفرد) ،إنما هي – كما يظهر من مضمونها- وليدة الفكر الغربي الذي يجعل الفرد ومصلحته العليا أولى بالتقدمة؛ إذ

هو الوحدة الاجتماعية الأولية (لا الأسرة كما في المجتمع الإسلامي)، ونجاح الجماعة؛ إنما يهدف أولًا إلى تحقيق صالح الفرد... "[1].

ب- استخدام المنهج الوصفي في تفسير الحاجات عند أبراهام ماسلو. تعد نظرية ماسلو مفسرة للعلاقات القائمة بين السلوك والحاجات في تسلسله الهرمي الذي تصوره ماسلو، حيث اعتمد في نظريته على المنهج الوصفي في بيان هذه الحاجات الإنسانية المعروفة سلفًا عند من سبقوه من علماء النفس، إلا أنه تفوق عليهم ببراعته في التوصيف والترتيب لهذه الحاجات ولكنه أهمل الكيفية التي تساعد الفرد على تحقيق ذاته وإشباع حاجاته، لقد كان تصوره لتصاعد الحاجات الإنسانية بشكلها الهرمي كلما أشبعنا الأدنى، ارتقينا بحاجتنا إلى الأعلى وكان ذلك مثار إعجاب وافتتان لطريقته إلى يوم الناس هذا، إلى جانب ما أولاه من شديد اهتمام بالإنسان كقيمة خيرية يراها متأصلة فيه، بخلاف من سبقه من علماء النفس في المدرسة التحليليه أو المدرسة السلوكية التي تجعل سلوك الإنسان كالحيوان يخضع للمثير والاستجابة، ومع ذلك فكل هذا لا يكفي للوفاء، بإخضاع السلوك البشري لكيفية الترقي به نحو الأفضل لاعتماد ماسلو على المنهج الوصفي لسلم الحاجات الإنسانية دون أن يضع الآليات والطرق التي تكفل للفرد مساعدته في الرقي بذاته والسبل المحققة لذلك .

وهذا المنهج الوصفي الذي قدم به نماذج بشرية موجودة من أسوياء البشر الذين حققوا ذواتهم بالفعل، اعترف فيه ماسلو أن واحدًا من بين كل مائة هم الذين يحققون ذواتهم، فما هو المعيار الذي احتكم إليه وارتضاه للحكم على هؤلاء بأنهم حققوا ذواتهم سوى ما رآه وتصوره هو، دون أن يضع في حسبانه أن نظرته لهؤلاء الذين حققوا ذواتهم قد تكون قاصرة أو جانبها الصواب، فيما ظنه أنه الصواب؛ لأن ما رآه لا يمثل إلا تصوره الخاص، ومفهومه الشخصي الذي ارتآه

أنه كذلك، وفي أحسن الأحوال أو أفضل التقديرات تعد هذه النماذج المختارة التي رأى أنها حققت ذاتها، هي النموذج المثالي للشخصية السوية في مجتمعه، أو تمثل نظرة الغرب على نحو خاص دون الأكتراث بنظرة الآخرين الذين حققوا ذواتهم لدى الشعوب الأخرى، لقد قام ماسلو بفرض نماذج بشرية معاصرة له وأخرى تاريخية، ارتآى أنهم حققوا ذواتهم لما وصلوا إليه من الشهرة والثراء ورغد العيش وأنهم هم النموذج المثال الذي يجب محاكاته واستنساخه لمن يرغبون في تحقيق ذواتهم.

"لذلك ركز دراساته على الأشخاص القلائل الذين يعتبرهم قد حققوا المستوى الأعلى من إشباع حاجاتهم وحققوا ذاتهم أو ما سماهم مكتملي الإنساني Full humanness مستخدمًا لذلك عينة صغيرة إلى حد ما تضمنت بعض الأشخاص الأحياء، وبعض الشخصيات التاريخية مثل توماس جيفرسون، وأينشتاين، وروزفلت، وجون أدمز، ووليم جيمس، والبرت شفايتزر، وباروخ سبينوزا، ورغم أن الأشخاص المحققين لذاتهم متفردون بطرق مختلفة إلا أنهم يتقاسمون أو يشتركون في مجموعة من الخصائص والصفات" (١).

ج- تقاعص نظرية ماسلو عن تقديم الحلول للمشكلات النفسية.

لقد ترتب على المنهج الوصفي عدة مآخذ من أهمها أن نظرية ماسلو لا تقدم حلولًا للمشكلات أو علاجًا لها، وإنما تشخص وتبين الأنماط السلوكية كما هي وتوصفها، في سويتها ولا سويتها، دون أن تبين درجات إشباع هذه الحاجات بشكل دقيق عند الأسوياء أو غيرهم، ومن ثم فهي لا تخضع للقياس الأمبيريقي التجريبي؛ لأن ما قدمه ماسلو في الغالب انطباعات شخصية استخلصها من دراسة بعض الشخصيات المعاصرة له أو بعض الشخصيات التاريخية التي قرأ عنها، وهي في النهاية لا تصلح أن تأخذ صفة الأحكام القطعية التي لا يجوز نقدها، لسبب

بسيط أن هذه الانطباعات لم تخضع للتجربة المعملية التي تعطيها صبغة القوانين التي يمكن أن نطبقها على كل إنسان استطاع أن يحقق ذاته؛ لأن مفاهيم تحقيق الذات تختلف باختلاف الأشخاص، وتختلف من مجتمع لآخر، ومن عصر لعصر.

لذلك وصف الدكتور طارق عبد الحليم نظرية ماسلو بأنها نظرية تعتمد المنهج الوصفي لكونها تصف ما هو كائن بالفعل بسلوك الفرد فيقول : "كذلك فإنها نظرية يمكن أن يقال أنها (وصفية) أعني هي تصف واقع الفرد كما هو كائن، ولا تعالج الطموح إلى الترقي أو السمو بالحاجات، وتقديم ما هو أنفع على غيره كما أنها – بطبيعة الحال – تعالج مقاصد الفرد ودوافعه في حيز الحياة الدنيا "[1].

د- فقدان التوازن بين الروح والجسد فإنه (ما صحَّ جسم إذا ما اعتلَّ قلب).

قصر أبراهام ماسلو (Abrahm Maslow)، الحاجات المعرفية والحاجات الجمالية على ما يعرف عنده بحاجات الكمال الإنساني الذي يراه في الحاجات العليا Higher or metandees أو حاجات الكينونة B- Being or needs والذي يكون فيه الفرد هو مصدر كل جمال وكمال، والمعرفة مصدرها الإنسان تنبع منه وتنتهي إليه، فيرى الدوافع الروحية تتحقق في إبداع لوحة فنية أو تأليف قطعة موسيقية أو الوصول إلى نظرية علمية فيتحقق بذلك إشباع الحاجات العليا لدى بعض المشاهير الذين حققوا ذواتهم، وهي نظرة ساذجة تتعارض وحقيقة البعد الروحي والإيماني الذي يؤمن به أتباع الأديان، فهل كل مشهور نبغ في مجاله يصبح محققًا لذاته؟!، فكم من المشاهر الذين امتلكوا الثروات، ومع ذلك أقدموا على إزهاق أرواحهم، للخواء الروحي والإيماني لديهم، وفي الاتجاه الآخر العكسي كم من مقهور مغلوب على أمره ضاقت به المعايش فعل الأمر نفسه، لنفس أسباب الوهن الروحي، وكلاهما في العرف النفسي مريض، ولا يمكن أن نطلق على هذين النوعين من الناس، أنهم أسوياء أو أن أحدًا منهم حقق ذاته؛ لأن

تحقيق الذات لا يكون إلا بالاتزان النفسي الذي يجمع بين الحاجات المادية والحاجات الروحية، وهو ما أغفله ماسلو تمامًا في سلمه الهرمي، فهو لا يرى أثرًا للدين في حياة الأفراد، حتى وإن انتموا لدين ما، فالفرد عنده هو مصدر كل تسامي، أو قيمي وهذ التسامي البشري يراه بلا مرجعية دينية. والأمن الذي يزعمه ماسلو في سلمه من أين يأتي ؟ وكيف يتحقق ؟ إذا غاب الإيمان بالخالق العظيم الذي أذهلك يا ماسلو حين وضعت طفلك الأول، فتغيرت لديك المفاهيم والأقانيم القديمة في نظريات علم النفس، حين كنت تؤمن بحيوانية الإنسان عند فريد أو الاستجابة بالمثير والحافز في دافعية السلوك عند القرود في المدرسة السلوكية، فلفظت ذلك الهراء من نظريتك، لكنك سرعان ما انتكست الفطرة لديك وعدت أدراجك يا ماسلو ونكصت على عقبيك، فقلت بقول أهل زمانك وعصرك أن الإنسان حيوان مبتكر ترقى بمرور الزمن كما زعم الهالك داروين في نظريته البائدة، إن الإيمان بالخالق المبدع الذي أبدعنا وأبدعك أرسى فينا الفطر السوية لقبول وحدانيته وتوحيده، ولا يرفضها إلا كل ناكب عن الفطرة السليمة، هذه الفطرة وهذا الإيمان الغامر لكيان النفس والروح يصنع الفرق الذي تنشده يا ماسلو في حياة الإنسان وليس الذي تزعمه، وهو الذي يملؤها بالسعادة، ويصبرها على البلاء، نفس مطمئنة عامرة بالإيمان، هذا الإيمان الذي يجعل المؤمن راضيًا حامدًا لربه في كل أحواله، صابرًا محتسبًا في الضيق، شاكرًا في الرخاء والسعة. قال رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم–:" عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ ، وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ ، وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ، فكانتْ خَيرًا لهُ "(١).

ه– المستدرك على نظرية أبراهام ماسلو :

"لقد تنقّل (علم النفس) عبر محطات كثيرة قبل أن يستقر مؤخراً في مجال (السلوك) فهماً وتحكّما، وتنبؤاً وتعديلاً؛ لتصبح دراسة السلوك المحصّلة النهائية في دائرة اهتمامه. وخلال رحلته الطويلة ظل علم النفس يتنقّل بين فرضيات ونظريات شتى؛ بحثًا عن فهم أدقّ للنفس البشرية، بدأت بمباحث حول الرّوح وحقيقتها، ثم الفلسفة وبعدها النّفس ذاتها، ثم العمليات العقلية التي انتقل منها إلى الإحساس والحواس الظاهرة، ومنها إلى مباحث الشعور واللاشعور، ثم إلى العقل الباطن، ليستقر أخيرًا مع السلوك! وهي الرحلة الشاقة التي عبّر عنها "روبرت ودورث" (Robert Woodworth) بقوله:إن علم النفس فَقَدَ (روحه)، ثم فقد (عقله)، ثم فَقَدَ (حسّه)، ثمّ فَقَدَ (شعوره)، ثم فَقَدَ (لا شعوره)، ثم لم يبق منه إلا (السلوك الظاهري)"[1].

وهذا شأن كل عمل بشري يعتريه النقص والتبديل أوالتغيير ما لم يكن له هدي من الوحي المنزل لذلك اختصر علماء المسلمين المسافات بهداية الوحي المنزل بإضافات ضافية في مجال البحث السلوكي النفسي. وفي هذا الشأن يقول جمال فضل:"لقد أضاف علماء المسلمين أبعادًا على جانب كبير من الأهمية في تفسير السلوك الإنساني، وحيث لم يتطرق لهذه الأبعاد علماء النفس المعاصرين. من هذه الأبعاد اهتمام علماء المسلمين بدراسة ما يعرف بالنية(العزم أو القصد) Intention في سلوك الإنسان، واهتمامهم أيضًا بالجانب الإرادي والاختياري(المشيئة أو الاختيار)Volition ، والجانب الأخلاقي Ethical في السلوك الإنساني.هذا إلى أن الجانب الأخلاقي، وما يتصل به من السلوك الديني، والشعور الديني Relgions Feeling للإنسان، كان موضع اهتمام علماء المسلمين، حيث نظروا إلى هذا السلوك والشعور نظرة أخلاقية، في حين لم يلق هذا الجانب الحيوي في سلوك الإنسان اهتمام علماء النفس المعاصرين "[2].

"إن علماء النفس المحدثين في المجتمعات الغربية، تمشيًا مع الاتجاه المادي الذي يغلب على فلسفتهم في الحياة، يهملون أثر الدين والإيمان والنواحي الروحية في الصحة النفسية، ويركزون اهتمامهم في دراسة مؤشرات الصحة النفسية على الكفاءة والفعالية في كثير من أمور الحياة الواقعية اليومية مثل قدرة الفرد على الاستمتاع بعلاقاته الاجتماعية، وقدرته على إشباع حاجاته المادية والدنيوية، ونجاحه في عمله وفي حياته الزوجية وهم يغفلون ما للدين والإيمان بالله تعالى من أهمية في الصحة النفسية للإنسان، وفي التخلص مما يعانيه الإنسان المعاصر في الغرب من ضياع وقلق، مما أدى إلى انتشار الجريمة، والانتحار،وإدمان المخدرات، والإصابة بالأمراض النفسية والعقلية "[1].

و- نظرية التوازن بين الروح والجسد(ستيفن كوفي)[Stephen Covey]:

من المدارس التي درست السلوك ودوافعة لإشباع الحاجات الإنسانية نظرية أبراهام ماسلو، غير أن إغفال أبراهام ماسلو للبعد الديني واستبعاده قوة الإيمان الدافعة للخيرية، كحاجة إنسانية مستقرة في الفطرة لدي الملايين من الناس، إلا من حُرم منها ممن تعكرت فطرته، ونكب عن سويته، فالفطرة السليمة لها دورها المهم في ترقية الذات الإنسانية ودوافعها عبر الوحي المترل، وغياب هذا البعد الديني والروحي من نظرية أبراهام ماسلو أدى إلى ظهور نظريات أخرى جاءت بعد ماسلو؛ لتغطي هذا القصور وتعالجه،"فظهرت نظرية مختلفة عن نظرية ماسلو وهي نظرية التوازن التي جاء بها (ستيفن كوفي)عام ١٩٨٩م، الذي استنتج مجموعة من الحقائق حول الاحتياجات الإنسانية والتي لخصها في أربعة احتياجات أساسية :)[2].

١- الاحتياجات المادية:(ترتبط بأسباب الوجود والبقاء).

٢- الاحتياجات الروحية:(ترتبط بالإيمان والبقاء والحياة).

٣- الاحتياجات الاجتماعية:(ترتبط بالحاجات النفسية والعاطفية).

٤- الاحتياجات العقلية:(الحاجات الفكرية المرتبطة بالعلم والثقافة والمعرفة والمهارات).

يؤكد(ستيفن كوفي)، على ضرورة إحداث توازن في تلبية احتياجات هذه المراكز الأربعة تحت شعار الإنسان المتوازن، حيث يستند كوفي في نظريته على أن الإنسان عبارة عن كائن يتكون من: أعيش وأحب، وأتعلم، وأترك ورائي أثرًا طيبًا.

وإذا كان(ستيفن كوفي) قد استدرك على نظرية ماسلو تجاهله للجوانب الروحية التي تزكي النفس وتصلح القلوب، فقد أعطى الإسلام للبدن حقه، وللروح حقها، ودل الإنسان على ما يحقق له ذلك في معاشه ومعاده.

المبحث الثاني: الجوانب الروحية بين نظرية ماسلو والتصور الإسلامي لها:

قنن الإسلام السبل والطرق الكفيلة بتحقيق التوازن المطلوب، لتوفير الحاجات المادية والروحية، فجعلها من صميم عبادات المسلم، فالحاجات لا يكفي فيها التنظير، وإنما تحتاج إلى الطرق العملية التي تضمن توفير هذه الحاجات من خلال قنوات متعددة في التشريع الإسلامي، فالزكاة والصدقات لحماية الفقراء والمساكين، وقبل كل ذلك حث الإسلام على العمل والكسب الحلال، وكسب المسلم من عمل يده أمر واجب، إلا من قلت حيلته منهم وضعفت قدرته على العمل وتحصيل الرزق، فالمجتمع المسلم يكفله، أو يعيد تأهيله للعمل إن أمكن ذلك حسب قدراته. والإنسانِ المسلم يَبْتَغِي فيما آتاه اللّه الدارَ الآخرةَ، وألا يَنْسَى نَصِيبَه من الدنيا، مع التزامه بالقيم السامية التي تضمن عدم الإفساد في الأرض، قال تعالى :﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ﴾،(القصص:٧٧)، من الدنيا ويُحْسِن كـــما أحسن اللّه إليه. فيصوم ويُفْطِر، ويَقُوم الليل وينام، ويتزوّج النساءَ، فيجمع بذلك بين عبادة اللّه تعالى وبين ما يطلبه الجَسَد وما تَبْتَغِيه الرُّوحُ، وديننا الحنيف، لا تشدد فيه ولا رهبانية، فالمسلم لا ينهك جسدة في العبادة، ولا يُسرف في حرمان نفسه من طيّباتِ ما أحل الله له من المباح، فالأصل في الأشياء الإباحة إلا ما نهانا عنه الشرع، لعلة توقع الضرر، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " إن لربك عليك حقًا، وإن لبدنك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه "[1].

المطلب الأول: تجاهل ماسلو للبعد الديني واستبداله بالتسامي الإنساني: يرى ماسلو أن سعادة البشرية يمكن أن تتحقق من خلال العلوم التي يتوصل إليها الإنسان إذا تبنى أصحابها فكرة التسامي الإنساني بالنفس البشرية ، ويرى أيضًا أن حاجتنا إلى طبيعة إنسانية متسامية متسامحة أكثر من حاجتنا إلى الأديان، أو علوم الطبيعة. يقول ماسلو: "إن الغاية القصوى التي يجب أن تتبناها كل العلوم المختلفة – مثل الطب والفزياء ، والقانون، والتربية، والاقتصاد، والهندسة، والتجارة — هي التسامي الإنساني،أي التحقيق الكامل للإنسان ونموه وسعادته، وهذا يتوقف على فهم الطبيعة الإنسانية، فالحقيقة البسيطة التي لا يمكن إغفالها هي أننا لا زلنا لا نعرف أنفسنا بدرجة كافية، فنحن نحتاج أكثر من القنابل أو الأديان الجديدة أو السياسة أو المصانع ، وأكثر من الصحة البدنية والعقاقير الجديدة التي توفرها، إلى طبيعة إنسانية متحسنة "[2].

ويصف روبرت ميلتون تجاهل ماسلو للبعد الديني في نظريته فيقول: "إن ماسلو لم يأت على ذكر الله عند أي مستوى من نموذجه. قد يعتبر بالتالي المفهوم الذي

وضعه حول (التجربة الذروة)، مفهومًا عن نمط الحياة أو إطار الفكر، لا مفهومًا ذا طابع ديني متوارث. تعني غالبية التجارب الذروة التي قام بها ماسلو بعمق الروح البشرية، أكثر منه بعالم الدين، ما لم يتم بالطبع استخدام تعريف للدين يستثني الله. مع ذلك، لاحظ ماسلو بأن التجارب الذروة وفرت للعالم سعادة مماثلة للسعادة الدينية."في نظر ماسلو ... تعتبر التجربة العادية ، والصحية، والمتكاملة، والسعيدة هي جوهر الدين". ففي أقرب مرة أتى فيها ماسلو على ذكر الله ضمن لائحته المؤلفة من ٣٤ معنى للتسامي ، كانت حين قال أن الشخص يصبح مقدسًا أو ربانيًا. لكنه سرعان ما أوضح أنه قصد بذلك ما هو(Meta- human) أي، التسامي البشري، وليس ما هو خارق للطبيعة"[١].

إن الجوانب الروحية عند أبراهام ماسلو تقف عند حدود الحاجات المعرفية والجمالية ، والقيم الإنسانية النبيلة ولا تتخطاها، مثل:التسامح، وحب الجمال، وحب العدل، والبحث عن الحقيقة، والنهم المعرفي. يقول الدكتور محمد عثمان نجاتي:"ووضع- أبراهام ماسلو- في قمة هذا التدرج الهرمي الدوافع الروحية مثل حب الجمال، والعدل، والبحث عن الحقيقة، وتحقيق الذات. فليست الدوافع الروحية التي يقول بها ماسلو ، هي الدوافع التي تتعلق بالروح بمعناها الديني الذي نفهمه نحن المسلمين، وإنما يقصد بها الدوافع السامية العليا للقيم الإنسانية والتي تحقق للإنسان تحقيق ذاته"[٢].

المطلب الثاني:انتقادات تتسم بالمصداقية لنظرية أبراهام ماسلو:

بعد أن قام أبراهام ماسلو باستقراء الواقع العملي لحياة العشرات أثناء دراسته التطبيقية للنماذج البشرية على تنوعها، توصل إلى أن هناك رابط بينهم جميعًا ، حيث وجد أن هناك دوافع عليا تدفع الإنسان إلى قيم ومثل متسامية نحو أهداف راقية يبذل فيها الإنسان حياته من أجل الوصول إليها أو تحقيقها و لم يحركه في كل

هذا، دوافعه أو حاجاته البيولوجية، وكان لإدراك أبراهام ماسلو لهذه الحقيقة أكبر الأثر في تقديم نظريته بصورة مائزة ومختلفة عمن سبقوه في تفسيرهم السلوك الإنساني، فعدل من نظريته، وأضاف إليها قبل وفاته الحاجات العليا، ولكنه مع هذا التعديل نكَص على عَقِبَيْه، فأغفل الدين الذي يعد من أهم مصادر القوة الروحية الدافعة للرقي بالسلوك الإنساني، وحاول أن يتوازن مع المعطيات الجديدة لنظريته، وبين ما هو سائد بين علماء عصره، لإيمانهم بنظرية داروين في التطور والارتقاء، وهذا يذكرنا بمسارات تاريخية قديمة حدثت في زمن خليل الله إبراهيم – عليه السلام– مع قومه عبدة الأصنام، فبعد أن كادوا أن يصلوا إلى حقيقة أصنامهم بأنها لا تضر ولا تنفع، انقلبوا إلى الباطل الذي ألفوا عليه آباءهم، كما في قول الحق:﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾،(الأنبياء:٦٥).

لقد غيب أبراهام ماسلو دور الدين وهمشه في نظريته، لتأثره بنظرية داروين في التطور، ومن ثم فإن التسامي الإنساني والقيمي وكل ما يتعلق بالجوانب الروحية عنده هو من الإنسان ويعود إليه من وجهة نظره، لقناعته بما ساد عند الكثير من علماء عصره الذين يرون أن الدين لا معنى له .

يقول الدكتور إبراهيم " وجدنا أن ماسلو بعد أن تبين له فشل النظريات التقليدية في الوصول إلى الحقيقة الكاملة، فإنه قد أصر على إدراج الأبعاد الروحية ضمن المتغيرات ذات الوجود « الحقيقي» في العالم الواقعي ، كما أكد على أنها تعتبر موضوعًا مشروعًا للدراسة في نطاق العلوم الاجتماعية، كما اقترح بعض المنهجيات الجديدة الملائمة للتعامل مع هذا النوع الجديد من المتغيرات ... ولكننا نلاحظ أيضًا أن ماسلو رغم اعترافه بالعوامل الروحية أو ما أسماه «بالحياة القيمية» للبشر من حيث تأثيراتها الحاسمة على سلوك الإنسان ، فإنه قد بذل جهدًا مستميتًا

ليوضح موقفه ويبرئ ذمته أمام مجتمع العلماء في الثقافة التي ينتمي إليها لإثبات أنه ما زال واحدًا منهم، فأكد ضمنيًّا ولاءه الكامل للنظرة التطورية ذات الأساس المادي أصلا، إذ حرص على أن يوضح أن الخبرات الروحية يمكن اعتبارها «خبرة بيولوجية»، وضم في نطاقها قائمة من الظواهر الشديدة التنوع لم تقتصر على الدين وإنما ضمت إلى جواره أيضًا الفن والتعليم والعلاج النفسي والخبرات الروحية الراقية Peak Experiences الشبيهة بالتصوف ووحدة الوجود) ، وبلغة أخرى فإنه قد حاول تمييع القضية حتى لا تستخدم نظريته في دعم الديانات المنظمة في الغرب "[1].

ولا شك أن هذه النظرة القاصرة لمفهوم الجوانب الروحية بشكلها الانتقائي، قد أدت إلى الانتقادات الواسعة التي وجهت إلى متسلسلة ماسلو للحاجات الإنسانية، لأن الجوانب الروحية التي زعمها ماسلو مجرد إناسة ساذجة للجوانب المعرفية والجمالية التي لاتروي الظمأ الإنساني للفطرة الإنسانية وهي ترنو نحو خالقها بنهم وحب شديدين، كلما استفاقت من غفلتها وعلمت النفس حقيقة وجودها المؤقت على الأرض .

ومع ذلك فإن علم النفس الإنساني يحسب له انعتاق الإنسان وتخففه من النظرة الحيوانية التي كانت تلاحقه عند فرويد أو أصحاب المدرسة السلوكية، ومن بعدهم من علماء النفس السابقين على المدرسة الإنسانية.

" فالإنسان ينظر إليه على أنه إنسانًا، لا مجرد حيوان أو آلة . فعلم النفس الإنساني ينظر إلى الإنسان باعتباره قوة واعية، ويقر بأولية العقل، ويعتبر أن العقل والوعي والإدراك هي أهم العمليات الإنسانية. كما أنه يهتم بدراسة القيم والنواحي الروحية والأخلاقية " [1].

المبحث الثالث: التطبيقات العملية لقاعدة هرم ماسلو في السنة النبوية سبقت ماسلو:

لقد حققت السنة النبوية في تطبيقاتها اليومية لدى المسلمين ما يعد بمثابة خضوع النظرية الإسلامية في الحاجات للمنهج التجريبي، ولم تطلبه في أروقة المعامل الضيقة. ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، ما يخص الحاجات الإنسانية الضرورية لحياة الإنسان، فقد أولاها الشرع إهتمامه البالغ، وهو الأمر الذي يختلف عن منهج ماسلو في تعامله معها بالرصد والتسجيل. وسنكتفي هنا فقط ببيان كيف تتعامل السنة النبوية الشريفة حالة نقص هذه الحاجات الإنسانية، وهي صورة كاشفة من مئات الصور التي ـــتُظهر تقدير واحتفاء القرآن الكريم والسنة النبوية للحاجات الإنسانية، بل وجدنا أن الحرص على إشباع هذه الحاجات مقدم على بعض صور العبادات حالة نقصاها.

أ- تقديم إشباع الحاجات حالة نقصها على بعض صور العبادات:

أولى الشرع مكانة عالية في تشريعاته لإشباع هذه الحاجات الإنسانية عبر قنواتها الشرعية، وقدمها في بعض الحالات على العبادة، لأن عدم إشباعها قد يضر بأداء العبادة نفسها على الوجه الذي يليق بها من الخشوع الذي يستوجب معه أن تكون العبادة خالصة لا يشوبها توتر نفسي في حالة نقص هذه الحاجات، كحالة الجوع في حضرة الطعام أو العطش مع وجود الماء أو الإرهاق الشديد لعدم النوم، وحتى تكون العبادة مصحوبة بالخشوع الذي يليق بجلال الله وعظمته أثناء الوقوف بين يديه، يجب أن تكون الصلاة في بؤرة الشعور بلغة علماء النفس، فالصلاة ليست حركات تؤدى أو كلمات تتلى، ولكنها دعاء ورجاء وصلة برب السماء وحضور قلبي. وقد وردت الأحاديث الصحيحة بذلك بل وعبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – بلفظ (الحاجة) المعروف عند ماسلو وعند غيره من علماء النفس، وذلك

في بعض روايات الحديث، ليس هذا فقط بل وأمر النبي- صلى الله عليه وسلم- بإشباع هذه الحاجات بالقدر الذي يحتاجه الفرد المسلم قبل الإقبال على هذه العبادة.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- :" إذا وُضع العَشاءُ، وأقيمت الصلاةُ، فابدؤوا بالعَشاء ". قال: فتعشَّى ابنُ عمر ليلةً وهو يسمَع الإقامة. هذا حديثٌ خرَّجاه أيضًا بلفظ:" ولا يعجل حتى يفرغ منه "(١) ، البخاري ، وفي لفظ عند البخاري: " إذا كان أحدُكم على الطعام، فلا يَعجل حتى يَقضي حاجتَه منه، وإن أُقيمت الصلاةُ "(٢) . وهذا من باب الكراهة وإلا فصلاة الجائع الذي تتوق نفسه إلى الطعام صحيحة، فالجمهور على صحة صلاة الجائع الذي تتوق نفسه إلى الطعام وبخاصة إذا أُمِـــنّـــا التشويش قُدِّمت الصلاة، لأنهم يُفرِّقون بين الصحة والكمال.

ومن أحاديث هذا الباب أيضًا قوله – صلى الله عليه وسلم-:" إذا حضر العشاء فابدؤوا به قبل أن تصلوا المغرب "، وفي اللفظ الآخر يقول- صلى الله عليه وسلم-: " لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان "(٣) ، أي، لا صلاة لمسلم يدافعه الأخبثان، وهذا عام، رواه مسلم في الصحيح، فإذا حضر الطعام عند الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء، أو الفجر، فإن السنة البداءة به، لأنه إذا قام وقد حضر الطعام تشوش قلبه و لم يؤد الصلاة كما ينبغي بسبب التشوش الذي حصل للقلب عند حضور الطعام؛ لأن حضور الطعام مع الجوع يمنع حضور القلب في العبادات.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم معقبًا على الأحاديث: "في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب

به وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع"(٤).

ومعنى كلام الإمام النووي "ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع".أن نقص أي نوع من أنواع الحاجات الإنسانية الضرورية كحاجة الطعام في حالة الجوع بحضرة الطعام، والحاجة إلى الماء في حالة العطش، وكراهة مدافعة الأخبثين، وحاجة الإنسان للنوم وكراهة مدافعته، فهذه الحاجات يقاس عليها، لأن الحكم الشرعي يدور مع علته، وجوداً وعدماً كما هو مقرر في علم أصول الفقه، متى وجدت وجد الحكم، ومتى فقدت لم يثبت الحكم.

ولذلك فقد حضت السنة على كراهة الصلاة في ظل هذه الحالات، فالسنة لحاجة الطعام والجوع أن يبدأ به ويأكل حاجته ثم يصلي، ولو أنه قد أذن المؤذن ولو حضرت الصلاة ولو أقيمت الصلاة، وليس هذا من التساهل بالصلاة ولا من التهوين من شأنها، لا، بل هذا من تعظيم شأنها؛ لأنه إذا أتاها وقلبه مشغول بإشباع مثل هذه الحاجات الأولية البيولوجية لم يخشع فيها كما ينبغي، والمولى عز وجل يقول:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾،(المؤمنون:١-٢)، قال صاحب عون المعبود: " قوله- صلى الله عليه وسلم- : (بحضرة الطعام) أي: عند حضور طعام تتوق نفسه إليه، أي لا تقام الصلاة في موضع حضر فيه الطعام وهو يريد أكله، وهو عام للنفل والفرض والجائع وغيره، وفيه دليل صريح على كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال لاشتغال القلب به"(٣٧).

وكذا الحال في حاجة الإنسان للإخراج، وما أروع التعبير النبوي الرفيع المختصر الذي عبر به النبي - صلى الله عليه وسلم — عن حاجة الإخراج بقوله: (يدافعه الأخبثان) كناية عن البول والغائط، فدل عليهما مع إثبات صفة الأذي

وإلحاق الضرر بالإنسان حالة وجودهما، وقوله- صلى الله عليه وسلم- :"لا صلاة بحضرة الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان"، لأن الحاجات العليا لا يمكن تحقيقها في ظل التوتر الناجم عن الحاجات الدنيا اليومية الغير مشبعة، وهو ما أقر به أبراهام ماسلو في نظريته، فهو يرى أن الحاجات العليا للإنسان لا يمكن أن تتحققق حالة نقص الحاجات الدنيا .

ب- تعطيل حد السرقة وقت المجاعات : (حاجة الطعام):

ذكر ابن القيم رحمه الله "أن عمر- رضي الله عنه- لم يقطع يد السارق في عام المجاعة وأن هذا هو مذهب أحمد والأوزاعي"(٣٨) .

واستدل ابن القيم على ذلك بما جاء في الأثر والقياس كالآتي:

١-الأثر : كقول عمر- رضي الله عنه-:"لا تقطع اليد في عذْق وَلَا عَام سَنَة "(٣٩). قال السَّعْديُّ سألت أحمد عن هذا الحديث فقال: الْعذْقُ النَّخْلَةُ، وَعَامُ سَنَة: الْمَجَاعَةُ، فقلت لأحمد: تقول به؟ فقال: إي لَعَمْري، قلت: إنْ سَرَقَ فِي مَجَاعَة لَا تَقْطَعُهُ؟ فَقَالَ: لَا، إذَا حَمَلَتْهُ الْحَاجَةُ عَلَى ذَلكَ وَالنَّاسُ فِي مَجَاعَة وَشدَّة.

٢- القياس: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وإسقاط القطع عن السارق في عام المجاعة هو محض القياس ومقتضي قواعد الشرع فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه ... "(٤٠) .

وهو في دليله القياسي يقيس حالة السارق عام المجاعة لحاجته إلى ما يأكله على حالة المضطر بجامع الحاجة، إذ الضرورة المبيحة هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل، فصارت الحاجة إذًا شبهة قوية أسقطت الحد وهو القطع .

ج- حاجة الإنسان للنوم وكراهة مدافعته :

النوم ضرورة بيولوجية وحاجة إنسانية أساسية ملحة جعلها ماسلو في قاعدة سلم الأولويات للحاجات الإنسانية الأولية التي لا غنى عنها، ولا يمكن مدافعته بالسهر المتواصل وقد سجل القرآن الكريم غريزة النوم على أنها نعمة كبرى من نعم الله على الإنسان لأهميته للبدن، فهو يجدد به نشاطه ويستعيد به حيويته ويجدد خلاياه التالفة، وهذا بطبيعة الحال في إطار التنظيم المطلوب لساعات اليقظة وساعات الراحة، قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾(الفرقان:٤٧)، وقال سبحانه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾(الروم: ٢٣).

والاعتدال في اليقظة والنوم وتنظيم الأوقات بينهما أمر مطلوب، لصحة العبادات، فلا ينبغي مدافعة النوم كثيراً بإدمان السهر الساعات الطوال، فإن مدافعة النوم وهجره مورث لآفات أخرى من سوء المزاج والأرق والتوتر وانحراف النفس وقلة الفهم وعدم القدرة على العمل،. وكان من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم - عدم مدافعة النوم، بل كان إذا غلبه النعاس نام- صلى الله عليه وسلم-، وقالت السيدة عائشة - رضي الله عنها- في وصف قيام رسول الله - صلى الله عليه- في الحديث الطويل: "وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله- صلى الله عليه- وسلم قرأ القرآن كله في ليلة واحدة، ولا صلى ليلة حتى الصبح، ولا صام شهرًا كاملًا غيرَ رمضانَ "(٤١).

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أيضًا عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" إذا نعس أحدكم في صلاة، فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسُب نفسه"(٤٢).

****

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

* أصاب أبراهام ماسلو التوفيق في نظريته؛ حيث تتسم هذه النظرية بالوضوح وعدم التعقيد فهي تربط بين الحاجة وإشباعها من خلال سلم هرمي بسيط يفهمه الكافة.

* حازت نظرية أبراهام ماسلو شهرة واسعة، واستُخدِمت على نطاق واسع في أبحاث علم النفس والإدارة والتدريس، والتنمية البشرية، والدافعية والتحفيز، وفي مجالات عديدة.

* أخفقت نظرية أبراهام ماسلو في بعض الحيثيات والقضايا؛ مما جعله عُرضة للنقد والاستدراك عليه، ومرد ذلك إلى التفاوت في التقديرات البشرية في التقييم، فبينما يرى بعض الباحثين أن مصفوفته الهرمية المتصاعدة مَنْقَبَة تحسب له، يراها آخرون مَثْلَبة، وهذا دأب الأحكام البشرية متفاوتة، فبينما رأى بعض الباحثين أن سر شهرته التي بلغت الآفاق حتى درجة الافتتان، يكمن سرها في ترتيبه للحاجات على شكل هرمي متصاعد، وَكَزَهُ بعضهم الآخر ولمزه فيه، بأن هذا الترتيب الهرمي الثابت شكّل مطعنًا في نظريته؛ لأنه من الناحية النظرية الشكلية مقبول وأما من الناحية العملية الديناميكيَّة فليس كذلك؛ لأن إستاتيكيَّة هرمية أبراهام ماسلو لا تخضع للقياس العملي للوقوف على درجات الإشباع الحقيقي التي تستوجب الانتقال من درجة إلى أخرى في هذا السلم.

* تفتقر نظرية ماسلو إلى حقيقة ثابتة عند أغلب شعوب الأرض، وهي أن تنحية الجوانب الدينية والبعد الإيماني، لا يمكن معه أن يحقق الإنسان ذاته بصورة كاملة وصحيحة.

* قد يصر بعض الناس على مزيد من الإشباع لحاجة معينة رغم إشباعها بالفعل وهذا خلاف ما تفترضه النظرية بأنه في حال إشباع حاجة معينة يتم الانتقال إلى إشباع حاجة أعلى منها في السلسلة.

* لم تهتم النظرية بتحديد حجم الإشباع اللازم للانتقال إلى الحاجة الأعلى منها مباشرة، بل افترضت أن هناك إشباعًا فقط دون أن تحدد مقداره.

* وُصفت نظرية ماسلو بالجمود والإستاتيكيَّة عند الكثيرين، حيث يفصل ماسلو بين الحاجات الإنسانية في سلمه الهرمي المتصاعد، فلا يتسنَّى للفرد أن يجمع فيه بين حاجتين في آن واحد، أو يعود القهقري لإشباع حاجات قديمة عجز عن إشباعها في الماضي، ولا يرتقي الدرجة الأعلى منه إلا إذا أشبع الأدنى.

* لا يسلم لإبراهام ماسلو هذا الترتيب؛ لأنَّ هذه الحاجات متداخلة ولا يوجد حاجة واحدة تنقضي فيأتي ما بعدها.

* لم تضع نظريته في الحسبان الفروقات الفردية بين الناس في إشباع حاجاتهم المتغيرة من شخص لآخر، فليس شرطًا أن يتطابق إشباع حاجات الإنسان وفق التسلسل الهرمي التصاعدي المفترض سلفًا، فرغبات الإنسان وحاجاته ليست مبرمجة.

* الإغراق الموغل في الشخصنة وتعظيم (الأنا) الفرد الذات، كان هذا الملحظ مثار انتقاد وُجه لنظرية أبراهام ماسلو، فالحديث في سلمه ودرجاته منصب على الفرد دون غيره، لا على المجموع .

* تفترض النظرية أن الحاجة غير المشبعة، هي التي تدفع إلى السلوك، معنى ذلك أن الحاجة المشبعة لا تدفع للسلوك، وهذا غير صحيح.

* أوضحت الدراسة مفهوم أبراهام ماسلو عن الجوانب الروحية بجلاء لا لبس فيه، وكان هذا الأمر مثار لغط عند الدارسين، بين مثبت لها، ونافيًا لوجودها، حيث أكد البحث بالأدلة أنها اقتصرت على الإبداع الإنساني والقيم الروحية السامية.

* يرى أبراهام ماسلو (Abrahm Maslow)، أنَّ الحاجات المعرفية والحاجات الجمالية تختص بما يعرف عنده بحاجات الكمال الإنساني الذي يراه في الحاجات العليا Higher or metandees أو حاجات الكينونة Being or B-needs والذي يكون فيه الفرد هو مصدر كل جمال وكمال.

* يرى أبراهام ماسلو (Abrahm Maslow) أن مصدر المعرفة ورأس كل حكمة هو الإنسان، فتنبع منه وتنتهي إليه.

* الجوانب الروحية تعني من وجهة نظر أبراهام ماسلو (Abrahm Maslow) التسامي البشري وطلب الشيء لذاته لا لغاية يتغياها سوى النبل الإنساني، والجمال المعرفي، الذي يجده في معزوفة موسيقية، أو لوحة فنية، أو كتاب رائع، أو في إدراك محيطه والعالم من حوله. وهذا جيد وجميل، ولكنه لا يغني عن التسامي الأكبر والأعز الأكرم، إنه الله الذي تتوق إليه الفطر السوية، ويبدو أن طموحه وقف به على الأعتاب الأولى لإمتاع الروح باللذات الفانية، و لم يلج إلى معارف المطمئنين ومدارج السالكين، و لم يدر شوق المحب إلى رب العالمين.

نتائج خاصة بالتصور الإسلامي للحاجات الإنسانية:

* مواكبة الدين للقضايا المعاصرة في كل زمان ومكان بل يؤصل لها ويؤثر فيها، ويتعامل معها بواقعية، ويضيف إليها.

* الدراسات النفسية ليست حكرًا على علم النفس وحده ، ولا ينبغي أن تبقى كذلك، قاصرة على النظريات الغربية.

* المنهج الإسلامي مزيج بين الدنيا والدين، ويوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد.

* يأتي التصور الإسلامي لإشباع الحاجات في النظرية المقاصدية، بتقدمة الدين على سائر الحاجات والضرورات.

* الوضع الأفقي المتداخل في ترتيب الحاجات وتوصيفها في النظرية المقاصدية ذي الدوائر المتداخلة في المنظور الإسلامي، هو الأولى والأنسب لجهوزيته في التحقيق، وقابليتة للقياس التجريبي على أرض الواقع العملي، مع الاحتفاظ بأولوية الدين بالتقدمة على سائر الحاجات والضرورات.

* معيار إشباع الحاجات الإنسانية الذي وضعه الإسلام لتحقيق الصحة النفسية ليس معياراً وضعيًا من صنع البشر؛ إنما هو معيار حدده لهم خالقهم ومدبر أمرهم جل وعلا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤).

* الربط بين العلم والدين بالتكامل والتعاون من خلال دراسة العلوم والنظريات الحديثة، ومناظرتها بالقيم الدينية السامية من باب التأكيد على أن الدراسات النفسية ليست حكراً على علم النفس وحده.

* أظهر البحث قيمة إدراج البعد الإيماني في مجال الصحة النفسية وأهمية ذلك بالمشاركة الفاعله لعلوم الدين في بناء الإنسان وقضايا المسلم المعاصر.

* طريقة العبادات في الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج - كما بيناه في البحث- تزرع في النفس العمل بروح الفريق الواحد، وتقوي في المجتمع المسلم روح الانتماء، وتعزز مفهوم الأمة الواحدة، وتنحي مفهوم (الأنا) المريض، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢).

* شابه ترتيب الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) للحاجات واللذات الدنيوية طريقة ماسلو في الترتيب التصاعدي لمصفوفته الهرمية.

* تأثر ابن القيم الجوزية (ت٧٥١ه) ، بسلم الحاجات واللذات عند الفخر الرازي.

* قدم علماء المسلمين هرميّة للضرورات الإنسانية تسبق ما قدمه هؤلاء الباحثون الغربيون بما يزيد على عشرة قرون، فقد قرروا أن الناس يسعون إلى تحصيل مصالحهم حسب هرمية من خمس طبقات، كلّ طبقة منها لها ثلاثة مستويات، وهذه الطبقات هي: الدين، والنفس، والمال، والعقل، والعرض (أو النسل). وهذه الهرمية أدق وأشمل من هرمية ماسلو؛ إذ إن التجربة البشرية أثبتت أن ضرورة الدين تتقدم كلّ الضرورات البشرية في غالب الأحيان.

* أسهم العالمان الجليلان الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه)، وأبو يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ) بأفكار فريدة أرهصت لولادة نظرية المقاصد، بشكل لافت أذهل الكثيرين من العلماء في العصر الحديث، بسبب هذا السبق في مرحلة مبكرة، بالإضافة إلى ما توصلا إليه من نتائج ودراسات نفسية عميقة قائمة على تشابك الصحة النفسية بالصحة الجسمية انطلاقًا من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية. وهو ما يعرف في أصول علم النفس بالنفسجسمية (السيكوسوماتية).

* أوضح البحث دور كل من: الحكيم الترمذي (ت٣٢٠ه)، وأبي يزيد البلخي (ت٣٢٢هـ). وما كان منهما من قوة اللمح، ونفاذ البصيرة، فيما اهتديا إليه من نظرات تقدمية راسخة فاقت كل التوقعات؛ لجمعهم بين الحاجات المقاصدية في الشرع وعلم النفس بنظراتهم العلمية المتقدمة التي سبقت عصرهم بعشرة قرون، بشهادة العلماء لهما في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

إبراهيم عبد الرحمن رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

إبراهيم عبد الرحمن رجب: ثورة التنظير في العلوم الاجتماعية ، مجلة المسلم المعاصر، منشور في العدد ،٩٨، المدينة: لبنان السنة،٢٠٠٠م ، عدد الصفحات: ٢٥ – ٦٦.

إبراهيم مصطفى وجماعة :المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار إحياء التراث العربي.

ابن حنبل: مسند الإمام أحمد ، تحقيق شعيب أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٩م.

ابن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،٢٠٠٠م.

ابن عباد: إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم ،المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين سنة النشر: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المغني مكتبة القاهرة الطبعة: بدون طبعة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

ابن قيم الجوزية :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق: محمد عبد السلام

إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) روضة المحبين ونزهة المشتاقين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، دار صادر- بيروت .

ابن منظور: محمد بن مكرَّم، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ /١٩٩٤ م .

أبو داود : سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ دار الفكر ، بيروت.

أحمد عبد اللطيف أبو السعد : علم نفس النمو ، ٢٠١١م.

أحمد عزت: أصول علم النفس، الطبعة الأولى، القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م .

الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة- لمحمد ناصر الدين الألبانى- المجلد الأول بقسميه، مكتبة المعارف للنشر- الرياض ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

أمجد قاسم: مقال، نظرية الدافعية وأهميتها في العملية التربوية، نشر آفاق علمية وتربوية ، ٢٠١٣م.

البخاري : صحيح الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر،مكتبة الدليل،سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

البخاري: أبو عبد اللة محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري ، باب التهجد دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السلطانية ١٣١٣هـ .

البزَّار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (٢٩٢ت هـ)، مسند البزَّار ،تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ، دار العلوم والحكم بالمدينة المنورة، سنة ١٤٠٩هـ.

البيهقي (٤٤٩-٤٥٢)، المدخل إلى السنن الكبرى بتحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار أضواء السلف).

جاسر عودة : مقاصد الشريعة دليل المبتدئين ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، لندن، ١٤٠١ هـ /١٩٨١م.

جمال الدين عطية: نحو تفعيل مقاصد الشريعة ،الأردن، عمان ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

جمال بن فضل الحوشبي: السلوك الإنساني في القرآن بين ضوابط الإرادات ودوافع القيم ، مجلة حراء ، مجلة علمية فكرية أدبية ثقافية ، العدد ٥٧، ٢٠١٦م.

الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)ا لصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الجيلاني بن التوهامي مفتاح ، فلسفة الإنسان عند ابن خلدون ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى لبنان ٢٠١١م .

حمادي العبيدي:الشاطبي ومقاصد الشريعة، بيروت: دار قتيبة، ١٩٩٢م.

خير الله عصار: مبادئ علم النفس الاجتماعي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤م.

روبرت ودورث: مدارس علم النفس المعاصرة، ترجمة: كمال دسوقي، ط١، دار المعارف بمصر.

الزبيدي : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق ، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية .

ساره نبيل: مقال،نظريات ونماذج الدافعية، نشر المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية ٢٠١٢م.

سهام مكي : دراسة استطلاعية لبعض الحاجات النفسية لدى الشباب المدمنين ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، جامعة الزقازيق ١٩٩٦م.

سهير أحمد : سيكولوجية الشخصية ،مركز الإسكندرية للكتاب : مصر ٢٠٠٣ م.

سيفرين: ف. ت.(١٩٦٥م) "وجهات نظر إنسانية في علم النفس" ترجمة:د. طلعت منصور، د. عادل عز الدين، د. فيولا الببلاوي (تحت عنوان: علم النفس الإنساني)، القاهرة ١٩٧٨م، مكتبة الأنجلو المصرية .

الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي،(ت: ٧٩٠هـ) الموافقات، دار الطلائع القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي،(ت: ٧٩٠هـ) الموافقات ، دار ابن القيم- دار بن عفان ، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

شرح النووي على مسلم يحيي بن شرف أبو زكريا النووي دار الخير سنة النشر: ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.

شلتز، داون : (١٩٨٣)، ، نظريات الشخصية، ترجمة حمد الدلي الكربولي، وعبد الرحمن القيسي، مطبعة التعليم العالي، بغداد.

صالح بن إبراهيم الصنيع : النفس الإنسانية لدى علماء النفس الغربيين وعلماء النفس المسلمين ، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية ٢٠١٣م.

صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.(ب- ت).

الصنعاني : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، مصنف عبدالرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

طارق عبد الحليم : مفتاح الدخول إلى علم الأصول، دار القلم للمواد التعليمية ، تورونتو- كندا .

طارق عبد الحليم: دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي، البيان، العدد الثامن عشر ، لندن ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩م.

طلعت منصور ، وأنور الشرقاوي، وفاروق أبو عوف، وعادل عز الدين : أسس علم النفس العام ، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣م.

الطبراني:أبو القاسم الطبراني(ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: محمد بن عبد المحسن التركي، سنة النشر: ١٤١٩ – ١٩٩٩م.

عبد العزيز بوشعير: الأساس الأخلاقي لترتيب سلم الحاجات في علم النفس الحديث ، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ، العدد الثالث ،٢٠١٧م.

عبد المجيد سيد أحمد منصور ، وزكريا أحمد الشربيني ، وإسماعيل محمد الفقي: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٢م .

عبد المجيد محمود الصلاحين ، د. فتحية محمد الزيادات: الحاجة ومعاييرها المؤثرة في الزكاة.المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، المجلد ١٢ العدد ٢ ، ١٤٣٧ هـ /٢٠١٦م.

عبد المحسن بن محمد السميح: دراسات في الإدارة المدرسية، دار الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان – الأردن ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠م.

العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين السلمي، قواعد الأحكام في مصالح الانام، دار القلم .

العظيم آبادي: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

عماد عبد الرحيم الزغلول: مبادئ علم النفس التربوي، دار الكتاب الجامعي ، الإمارات العربية المتحدة الطبعة ، الثانية ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢م.

عمر حليق : مجلة الرسالة/العدد ٩٢٩/الدين والسلوك الإنساني، نشر في ١٩٥١م.

فاخر عاقل: علم النفس التربوي، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م.

الفخر الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) : رسالة ذم لذات الدنيا، لندن ١٩٠٦م.

فرانك . سيفرين، علم النفس الإنساني، ترجمة طلعت منصور وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي،الطبعة الثالثة،(د. ن) القاهرة ٢٠٠٥م.

مجلة الاستغراب: مجلة دورية تُعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيًا ونقديًا ، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – العدد الثالث، السنة الثانية، بيروت ، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

مجلة الجزيرة ،أول صحيفة سعودية تصدر على شبكة الانترنت ، العدد ١٢١٩٠السنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

محمد السيد عبد الرحمن: نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

محمد عثمان نجاتي: مدخل إلى علم النفس الإسلامي، دار الشروق، الطبعة الأولى٢٠٠١م.

محمد عثمان نجاتي: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر مجلة دورية محكمة، العدد ٥٧، ١٩٩٩م.

محمد كمال الدين إمام: مجلة إحياء ، مجلة محكمة تعنى بالشأن الشرعي والفكري ، المغرب ، نشر ٢٠١٨م.

مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت(د. ت) .

الهُنائي : علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، (ت ٣٠٩هـ) المُنَجَّد في اللغة ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي الناشر: عالم الكتب، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م.

الوزاني: عبد السلام شاهين الوزاني،الحكيم الترمذي ومدرسته في تحليل النفس الإنسانية ، إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية، العدد١ – ٢٠١٦م.

المراجع الأجنبية

New ،Motivation and Personality،Abrham Maslow
٢٣.- Petri ،P١٥،١٩٨٧، ٣ed،York:Harper and Publishers
،Herbert and Govern John:Motivation The ory
Thomon ،USA،and Applications،Research
٣٥١،p٣٤٨،٥ed،٢٠٠٤،Learning
& ، relatedness، C. (١٩٧٢). Existence،Alderfer .م٢٠١٣
growth . New York

(١) ابن فارس، أحمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، مادة حَوَجَ، دار إحياء التراث الاسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م، ج٢، ص٢٦٨.

(٢) الهُنائي :علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، (ت ٣٠٩هـ) المُنَجَّد في اللغة ،تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي الناشر: عالم الكتب، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م،١٦.

(٣) ابن منظور: محمد بن مكرَّم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ /١٩٩٤ م، ٢٦٠/٤ ـ مادة :ح و ج.

(٤) انظر: المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ج٧/ص٤٢٩، والصحاح، الجوهري، ج٢/ص٧٢٠، تاج العروس، الزبيدي، ج٣/ص٣٤٩، ولسان العرب، ابن منظور، ج٣/٥٢٥ .

(٥) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، دار الطلائع القاهرة، ٢٠١٠م، ج٢، ص٢١.

(٦) د. عبد المجيد محمود الصلاحين، د. فتحية محمد الزيادات: الحاجة ومعاييرها المؤثرة في الزكاة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد ١٢ العدد ٢، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص ٣٠٤.

(٧) العز بن عبد السلام: أبو محمد عز الدين السلمي، قواعد الأحكام في مصالح الانام، دار القلم، ج٢، ص١٢٣.

(٨) الشاطبي: الموافقات، ٢٠١٠م، ج٢، ص٥.

(٩) وأما القسمان الآخران فهما المصالح والمقاصد الضرورية والتحسينية.

(١٠) د. عبد المجيد محمود الصلاحين، د/ فتحية محمد الزيادات: الحاجة ومعاييرها المؤثرة في الزكاة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد٢، المجلد ١٢، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص ٣٠٤.

(١١) خير الله عصار: مبادئ علم النفس الاجتماعي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤م ص٢٨.

(١٢) فاخر عاقل: علم النفس التربوي،بيروت ،دار العلم للملايين ،الطبعة الرابعة ١٩٧٨م ص ٣٩١.

(١٣) سهام مكي : دراسة استطلاعية لبعض الحاجات النفسية لدى الشباب المدمنين ،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية ،جامعة الزقازيق ١٩٩٦: ص١٠.

(١٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب : ثورة التنظير في العلوم الاجتماعية ،مجلة المسلم المعاصر،منشور في العدد ،٩٨،المدينة: لبنان السنة،٢٠٠٠م ،عدد الصفحات: ٢٥ – ٦٦.

(١٥) د. إبراهيم عبد الرحمن رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية،الرياض، دار عالم الكتب للطباعة ،١٤١٦/١٩٩٦م، ص ١٢١ .

(١٦) شلتز ، داون : (١٩٨٣)،ص: ٢٨٧،نظريات الشخصية،ترجمة حمد الدلي الكربولي،وعبد الرحمن القيسي،مطبعة التعليم العالي،بغداد.

(١٧) انظر،أحمد عزت: أصول علم النفس، الطبعة الأولى،القاهرة ،دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٧٩، ص ٣٢٦ ـــــــــ ٣٢٧.

(١٨) سيفرين ف. ت.(١٩٦٥) "وجهات نظر إنسانية في علم النفس" ترجمة:د. طلعت منصور، د. عادل عز الدين، د. فيولا الببلاوي (تحت عنوان: علم النفس الإنساني)، القاهرة ١٩٧٨، مكتبة الأنجلو المصرية،ص١١٦-١١٧.

(١٩)المصدر السابق نفسه ص١١٨.

(١) انظر: سهير أحمد: سيكولوجية الشخصية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٣ م، ص (٣٨٨- ٣٨٩).

(١) عبد العزيز بوشعير: الأساس الأخلاقي لترتيب سلم الحاجات في علم النفس الحديث ،دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ،العدد الثالث، ٢٠١٧م، ص ٤٩.

(١) رسالة ذم لذات الدنيا، للفخر الرازي: كتاب صغير ،كتب باللغة العربية ومترجم إلى اللغة الإنجليزية في النسخة ذاتها، لندن ١٩٠٦م.

(١) الفخر الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) : رسالة ذم لذات الدنيا، لندن ١٩٠٦م، ص ٢١٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢١٣ .

(١) المصدر السابق نفسه ،ص ٢١٣ .

(١) المصدر السابق نفسه ،ص٢١٢- ٢١٣ .

(١) الطبراني:أبو القاسم الطبراني(ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ،المجلد ١١/١٦-١٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٢٠) أحمد عبد اللطيف أبو السعد : علم نفس النمو ،٢٠١١م ص ٨٨.

(١) الفخر الرازي : رسالة ذم لذات الدنيا، لندن ص ٢٦١-٢٦٢، وانظر: مسند البزّار: ٤٨٨٠، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٤٤٩-٤٥٢)، تح: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار أضواء السلف).

(٢) الفخر الرازي: رسالة ذم لذات الدنيا للفخر الرازي ص ٢٦٤-٢٦٥ .

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) روضة المحبين ونزهة المشتاقين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.ص٢٤٥-٢٤٦.

(١) د. الجيلاني بن التوهامي مفتاح ،فلسفة الإنسان عند ابن خلدون ،دار الكتب العلمية الطبعة الأولى لبنان ٢٠١١م ص٩٩ ،وانظر أيضًا ، Abrham Maslow,Motivation and Personality,New York:Harper and ٣ed,١٩٨٧,P١٠،٢٣.- Petri Herbert and Govern ،Publishers Research,and ،John:Motivation The ory Applications,USA,Thomon Learning,٢٠٠٤،٥ed,p٣٤٨،٣٥١

(١) محمد السيد عبد الرحمن: نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م ،ص٤٣٩.

(١) عبد العزيز بوشعير: الأساس الأخلاقي لترتيب سلم الحاجات في علم النفس الحديث ،دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ،العدد الثالث ،٢٠١٧م،ص ٤٥.

(١) الوزاني: عبد السلام شاهين الوزاني، الحكيم الترمذي ومدرسته في تحليل النفس الإنسانية ،إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية،العدد١ – ٢٠١٦م،ص٧.

(٢) المصدر السابق نفسه،ص٦.

(١) محمد كمال الدين إمام،مجلة إحياء، مجلة محكمة تعنى بالشأن الشرعي والفكري ،المغرب ،نشر ٢٠١٨م.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مجلة الجزيرة، أول صحيفة سعودية تصدر على شبكة الانترنت ،العدد ١٢١٩٠لسنة ١٤٢٧ه / ٢٠٠٦م.

(٢١) طارق عبد الحليم : مفتاح الدخول إلى علم الأصول،دار القلم للمواد التعليمية ،تورونتو- كندا ،١٤٢٨ه،٢٠٠٧م ،ص٨٨ ،٨٩.

(٢٢) الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي،الموافقات ،دار ابن القيم- دار بن عفان ،سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م،ج٢/ ١٧.

(٢٣) ابن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور ،مقاصد الشريعة الإسلامية،دار النفائس،عمان،الأردن،الطبعة الأولى،٢٠٠٠م،ص٧٩.

(٢٤) الشاطبي: الموافقات ج٢/ ١٨.

(٢٥) طارق عبد الحليم: دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي،البيان،العدد الثامن عشر ،لندن ١٤٠٩ه،١٩٨٩م ،ص ٤٧.

(٢٦) جاسر عودة : مقاصد الشريعة دليل المبتدئين ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لندن،١٤٠١ه/١٩٨١م ،ص٢٠.

(٢٧) المصدر السابق نفسه ص١٩،١٨.

(٢٨) المصدر السابق نفسه ص١٩ .

(٢٩) أمجد قاسم: مقال،نظرية الدافعية وأهميتها في العملية التربوية،نشر آفاق علمية وتربوية ،٢٠١٣م.Alderfer، .(١٩٧٢) C.

.& growth . New York: Free Press ،relatedness ،Existence

* عالم أمريكي ولد في ١ سبتمبر ١٩٤٠م في بنسلفانيا(Clayton Paul Alderfer)

(٣٠) ساره نبيل: مقال نظريات ونماذج الدافعية، نشر المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية ٢٠١٢م.

(٣١) ساره نبيل: مقال نظريات ونماذج الدافعية، نشر المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية ٢٠١٢م.

(٣٢) عبد المحسن بن محمد السميح: دراسات في الإدارة المدرسية،دار الحامد للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،عمان – الأردن ١٤٣١ه،٢٠١٠م ص٢٤٧ .

(٣٣) جمال الدين عطية: نحو تفعيل مقاصد الشريعة ،الأردن،عمان ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤٢٤ ه/ ٢٠٠٣ ص٤٥.

(٣٤) جاسر عودة : مقاصد الشريعة دليل المبتدئين ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،لندن،١٤٠١ه/١٩٨١م ،ص٢٠.

(١) صحيح البخاري، برقم: (٦٠١١)، وصحيح مسلم، برقم: (٢٥٨٦)،واللفظ له .

(٢) صحيح البخاري . برقم :(٥٦٨٠)، وانظر،صحيح مسلم – البر والصلة والآداب (٢٥٨٥).

(١) عمر حليق : مجلة الرسالة/العدد ٩٢٩/الدين والسلوك الإنساني،نشر في ١٩٥١م.

* يعتبر الفيلسوف هيجل أكثر الفلاسفة الغربيين في تناوله للبعد الديني بمنهجية.

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٥٤٧)،وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم:(١٤٠٤).

(٢) استغربه الترمذي ،و صححه الألباني بدون لفظة (ومن شذ شذ إلى النار) ،انظر السلسلة الصحيحة – مختصرة – (ج ٣ / ص ٣١٩).

(٣) صحيح مسلم – الزكاة (١٠١٥).

(٣٥) حمادي العبيدي:الشاطبي ومقاصد الشريعة،بيروت: دار قتيبة،١٩٩٢م،ص١٩٠.

(٣٦)الشاطبي: الموافقات ٢/ ١٧.

(١) طارق عبد الحليم: دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي، البيان، العدد الثامن عشر ، لندن ١٤٠٩ه، ١٩٨٩م ، ص ٤٥-٤٦ .

(١) محمد السيد عبد الرحمن: نظريات الشخصية، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص٤٤٢- ٤٤٣.

(١) طارق عبد الحليم: دوافع الفرد بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي،البيان،العدد الثامن عشر ،لندن ١٤٠٩هـ،١٩٨٩م ،ص ٤٥-٤٦ .

(١) مسلم: صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقائق ،رقم ٥٣١٨ باب المؤمن أمره كله خير .

(١) جمال بن فضل الحوشبي: السلوك الإنساني في القرآن بين ضوابط الإرادات ودوافع القيم ،مجلة حراء ،مجلة علمية فكرية أدبية ثقافية ،العدد ٢٠١٦،٥٧م.،ص٢٢٧ . ،وانظر،روبرت ودورث، مدارس علم النفس المعاصرة، ترجمة: كمال دسوقي، ط١، دار المعارف بمصرص ٥٤.

(٢) عبد المجيد سيد أحمد منصور ،وزكريا أحمد الشربيني ،وإسماعيل محمد الفقي: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر،مكتبة الأنجلو المصرية ،٢٠٠٢م ص ١٠.

(١) محمد عثمان نجاتي: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس،مجلة المسلم المعاصر مجلة دورية محكمة،العدد ١٩٩٩،٥٧م.

(٢) عبد العزيز بوشعير: الأساس الأخلاقي لترتيب سلم الحاجات في علم النفس الحديث ،دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ،العدد الثالث ،٢٠١٧م،ص ٤٩.

(١) البخاري: صحيح البخاري – الرقاق برقم (٦١٣٩) .

(٢) فرانك.سيفرين،علم النفس الإنساني،ترجمة طلعت منصور وآخرون،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٨م،ص٧٠.

(١) مجلة الاستغراب: مجلة دورية تُعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيًا ونقديًا ،تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – العدد الثالث،السنة الثانية،بيروت ،١٤٣٧هـ،٢٠١٦م،ص ٣٤٨.

(٢) محمد عثمان نجاتي: مدخل إلى علم النفس الإسلامي،دار الشروق،الطبعة الأولى٢٠٠١م،ص٨٧.

(١) د. إبراهيم عبد الرحمن رجب التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية،الرياض،دار عالم التب للطباعة والنشر،١٤١٦/١٩٩٩٦م،ص ١٢٢ .

(١) محمد عثمان نجاتي: مدخل إلى علم النفس الإسلامي،دار الشروق،الطبعة الأولى٢٠٠١م،ص ٨٧.

(١) صحيح البخاري رقم (٦٧٣)، وصحيح مسلم رقم (٥٥٩).

(٢) صحيح البخاري رقم (٦٧٤).

(٣) مسلم : أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٨/١٢ برقم ٩١٢).

(٤) شرح النووي على مسلم يحيي بن شرف أبو زكريا النووي دار الخير سنة النشر: ١٤١٦هـ ،١٩٩٦م،ج٥/ص ٢٠٩.

(٣٧)عون المعبود – ج ١ / ص ١١٢.

(٣٨) انظر اعلام الموقعين ٢٢/٣-٢٣.وانظر إيضا المغني لابن قدامة ٢٨٨/١٠-٢٨٩.

(٣٩) انظر مصنف عبدالرزاق ٢٤٢/١٠.

(٤٠)حاشية انظر اعلام الموقعين ٢٣/٣.

(٤١) رواه مسلم [٧٤٦]، والبخاري [١٩٧١].

(٤٢) صحيح البخاري برقم :(٢١٢)، وانظر صحيح مسلم برقم: (٧٨٦).